التسامح في الصحيفة السجاديَّة مشروع بناء مجتمع خالٍ من العنف

المدرس الدكتور
حيدر جاسم جابر الدنيناوي
جامعة ميسان ـ كليَّة التربية الأساسية
haydar19811981@gmail.com

المقدِّمة:

إنَّ الدُّعاءَ حاجةٌ ذاتيَّـةٌ طبيعيـةٌ للإنسانِ المؤمنِ بالله تعالى، يحسُّ بها في داخله كما يحسُّ بلذعةِ الجوعِ عندَ حاجته إلى الطَّعامِ وحرارةِ العطشِ عندَ حاجته إلى الماء، فهو جوعُ الإنسانِ للحنانِ والسَّلامِ الذي يملأُ قلبَهُ بالحياة. فعندما تقرأُ أدعيةَ أهلِ البيت عليهم السلام تجدُ فيها ما يُطمئنُ قلبَك وينقلُكَ إلى واحةِ المحبَّةِ والأنسِ بمناجاةِ الله عزَّ وجلَّ، وهذا شيءٌ طبيعيٌّ؛ لأنَّ هناكَ حالاتٍ يشعرُ فيها الإنسانُ أمامَ قسوةِ الحياةِ وضغطِ المشكلاتِ أنَّهُ بحاجةٍ إلى التَّعبيرِ عنِ الآلامِ التي تُمزِّقُ ذاتَهُ والمشاعرِ التي تجيشُ في نفسِه من دونَ أن يجرحَ كبرياءَهُ أو يهدرَ كرامتَهُ.

وهنا يأتي دورُ الدُّعاءِ الذي يسمحُ للإنسانِ بأنْ يتنفَّسَ بكرامةٍ ومحبَّةٍ، فينطلقُ قلبُ الإنسانِ على ربِّه، وينطلقُ بروحه إلى الله سبحانَهُ حيثُ السلامُ والطمأنينةُ. وهكذا يكونُ الدُّعاءُ عاملَ تجديدٍ لقوَّةِ الحياةِ في الإنسانِ؛ لئلَّا يختنقَ بينَ قسوةِ مشكلاته وضغطِ كبريائه، فيتحوَّلُ إلى إنسانٍ منهارٍ أو مُعقَّدٍ؛ فمَنْ يدعو دعاءً فاعلًا بنيَّةٍ صادقةٍ وقلبٍ سليمٍ يكونُ أكثرَ اقتدارًا وأقوى قدرةً من غيرِه ويحصلُ على طاقةٍ روحيَّةٍ هائلةٍ تبعثُ الحيويَّةَ في نفسِه وتشعُّ في جميعِ جوانبِ حياتِه.

ومِنْ أروعِ الأدعيةِ التي تُجسِّدُ هذه المعاني الصَّحيفةُ السَّجَّاديَّةُ، إذ كانت أُنموذجًا فريدًا من الأدعيةِ المُباركة؛ لمَا اشتملَت عليه مِن أنوارِ حقائقِ المعرفةِ وثمارِ حدائقِ الحكمةِ، فقد احتوتْ جملةً من المعارفِ الإلهيَّةِ والكنوزِ الربَّانيَّةِ بأسلوبٍ أدبيٍّ في قمَّةِ الفصاحةِ والبلاغةِ، وهي مجموعةٌ من الأدعيةِ المأثورةِ عن الإمامِ عليِّ بنِ الحُسينِ بنِ عليِّ بن أبي طالب الملقَّب بزينِ العابدينَ عليه السلام، وقد رسمَ فيها طريقًا للعاشقينَ يُوصلهم

إلى الحضرةِ الإلهيَّة المقدَّسة، وقد لوَّنَ هذا الطريقَ بأساليبَ فنيَّةٍ وبلاغيَّةٍ رائعةٍ تشتاقُ إليها النُّفوسُ وتطمئنُّ لها القلوبُ.

إنَّ الصحيفةَ السجاديَّةَ المباركةَ في تنوُّعِ موضوعاتها وتكاملِ آرائها هي برنامجٌ شاملٌ لبناءِ الإنسانِ وصياغته وفقَ أُسُسٍ دينيَّةٍ رصينة، فالدُّعاءُ - عند الإمامِ زين العابدين عليه السلام - ليس مجرَّدَ ابتهالٍ وصرخةٍ إنسانيَّةٍ يستعطفُ فيها العبدُ ربَّه الكريمَ للتخلُّصِ من آلامٍ ذاتيَّةٍ أو مشاعرَ سلبيَّةٍ أو للحصولِ على الأجرِ والثوابِ أو للرغبةِ في تحقيقِ بعضِ الأمنياتِ والحاجاتِ، بل هو تطلُّعاتٌ إنسانيَّةٌ روحيَّةٌ ومشاريعُ عرفانيَّةٌ أخلاقيَّةٌ، إنَّهُ انفتاحٌ على الحياةِ الإنسانيَّةِ بكلِّ قضاياها ومشكلاتها وتعقيداتها.

فقد اتَّخذَ الإمامُ زينُ العابدين عليه السلام الدُّعاءَ علاجًا لكثيرٍ من الأمراضِ الأخلاقيَّةِ والنفسيَّةِ التي شاعت آنذاكَ في المجتمعِ الإسلاميِّ الذي أصابَهُ الانحرافُ الخلقيُّ والفهمُ الخاطئُ لقِيَمِ الإسلامِ والانسياقُ معَ ملذَّاتِ الدُّنيا، فاستطاعَ هذا الإمامُ عليه السلام بما أُوتيَ من بلاغةٍ فريدةٍ وقدرةٍ فائقةٍ على أساليبِ التَّعبيرِ أن ينشرَ جوًّا روحيًّا في المجتمعِ الإسلاميِّ يُسهمُ في تثبيتِ الإنسانِ المُسلمِ عندما تعصفُ به المُغرياتُ وتقسو عليه التحديَّاتُ، فكانَ دعاؤُهُ مدرسةَ أخلاقٍ ومصدرَ عطاءٍ ومشعلَ هدايةٍ مُجسِّدًا فيه أبرزَ القِيمِ الخُلُقيَّةِ والاجتماعيَّةِ والحقوقِ والواجبات.

وتضمَّنت أدعيةُ الصَّحيفة السجَّاديَّة كثيرًا من المضامينِ الأخلاقيَّةِ الرَّائعة التي تبني مشروعًا إنسانيًّا متميِّزًا ومؤثِّرًا، ومنها التَّسامحُ الذي يُمثِّلُ فضيلةً أخلاقيَّةً وضرورةً اجتماعيَّةً في كلِّ المجتمعات ولا سيَّما في المجتمعات التي تعاني من نزاعاتٍ أو صراعاتٍ أو اختلافات، فكانَ موضوعُ الدِّراسة: ((التَّسامح في الصَّحيفة السجَّاديَّة مشروع بناءِ مجتمعٍ خالٍ من العنف)).

وسببُ اختياري لهذا الموضوعِ ما وجدتُهُ من شياعِ التعصُّبِ والعدوانيَّةِ والكراهيَّةِ في مجتمعنا وغيابِ مشروعِ التسامحِ والتَّراحمِ والعيشِ المشترك، وهذا ناتجٌ من اضطرابِ منظومةِ القِيَمِ بسببِ سوءِ فهمِ القِيَمِ الإسلاميَّةِ أو الجهلِ بها، فاستمرارُ تفجُّرِ الاختلافاتِ والنِّزاعاتِ والصِّراعاتِ يُهدِّدُ النسيجَ الاجتماعيَّ ويقتلُ مشروعَ وحدةِ هذه الأُمَّةِ ويُغذِّي مظاهرَ العنفِ والتوتُّرِ، وهذا ما يدعو المجتمعَ إلى إعادةِ النَّظرِ في المفاهيمِ والقِيمِ التي

يعتقدُ بها ويستندُ إليها في تعاملِه مع الآخرينَ.

إنَّ مجتمعَنا اليومَ مُصابٌ بأنواعٍ من الانحرافات الروحيَّةِ والخلقيَّةِ وغارقٌ في بحرٍ من المفاسدِ النفسيَّةِ والاجتماعيَّةِ، وقد شاعَ القلقُ والاضطرابُ فيه بسببِ الانغماسِ في المظاهرِ الماديَّةِ والمصالحِ الشخصيَّةِ، وغابت شمسُ السعادةِ النيِّرة من الحياةِ فغطَّى ظلامُ الشقاءِ والآثامِ والانحرافِ والضَّلالِ والضياعِ كلَّ منافذِ الحقيقةِ والمعرفة، فمخالفةُ القوانينِ الأخلاقيَّةِ المنسجمة مع الدِّينِ لا تملأُ الحياةَ إلَّا آلامًا قاتلةً وفوضى عارمةً وضياعًا كبيرًا، وما غيابُ التَّسامحِ والتَّراحمِ وشياعُ الحقدِ والبغضاءِ والتَّنازعِ بينَ النَّاسِ إلَّا دليلٌ واضحٌ على التورُّطِ في الآثامِ والمفاسدِ الأخلاقيَّةِ التي يرفضُها الإسلامُ، وينبغي أن يشيعَ العفوُ والرَّحمةُ والتسامحُ بين أبناءِ هذا المجتمعِ ليعيشوا جميعًا حياةً حُرَّةً آمنةً سعيدةً مستقرَّةً.

وفي الختامِ أسألُ اللهَ تعالى أنْ يوفِّقَني لفهمِ هذهِ الأدعيةِ المباركةِ فهمًا واعيًا، ويجعلَني مِن العاملينَ بمضامينها الرَّائعةِ في حياتي، إنَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

مفهوم التسامح في اللغة والاصطلاح:

التَّسامحُ في اللُّغةِ مأخوذةٌ من الفعل (سمحَ)، يقولُ الخليلُ بن أحمد الفراهيديُّ (ت١٧٥هـ): ((وسمحَ لي بذلكَ يسمَحُ سماحةً وهو الموافقةُ فيما طلبَ... والمُسامحةُ في الطِّعانِ والضِّرابِ والعَدْوِ إذا كانت على مُساهلة...))[١]. ويقولُ أبو منصور الأزهريُّ (ت٣٧٠هـ): ((تقولُ العربُ: عليكَ بالحقِّ فإنَّ فيه لَمَسْمَحًا أي مُتَّسعًا... ويُقالُ: سمَّحَ البعيرُ بعدَ صعوبتِه إذا ذلَّ... وأسمحَتْ قَرُونَتُهُ لذلك الأمرِ إذا أطاعَتْ وانقادَتْ... أَسمحَت: أسهلَتْ وانقادَتْ... وقولُهم: الحَنيفيَّةُ السَّمحَةُ: ليسَ فيها ضيقٌ ولا شِدَّةٌ... وسَمَحت النَّاقةُ في سيرِها إذا انقادَت وأسرعَتْ...))[٢].

ويقولُ الجوهريُّ (ت٤٠٠هـ): ((والمُسامحةُ: المُساهلةُ، وتسامحوا: تساهلوا، وقولُهم: أسمحَت قرونتُهُ أي ذلَّت نفسُهُ وتابعَتْ... والتَّسميحُ: السيرُ السهلُ...))[٣]. ويقولُ ابن منظور (ت٧١١هـ): ((يقالُ: سمحَ وأسمحَ إذا جادَ وأعطى عن كرمٍ وسخاء... وأسمحَ وسامحَ: وافقني على المطلوب... والمُسامحةُ: المُساهلةُ، وتسامحوا: تساهلوا... وأسمَحَت الدابَّةُ بعدَ استصعاب: لانت وانقادتْ، ويُقالُ: سمَّحَ البعيرُ بعدَ صعوبتِه إذا ذلَّ... والتَّسميحُ: السُّرعةُ...))[٤].

و(التَّسـامُح) مصـدر الفعـل (تَسـامَحَ) علـى وزنَ (تَفـاعَـلَ)، وإحـدى دلالات هـذه الصِّيغة أنَّها تدلُّ على المشاركة، إذ يقول سيبويه (ت١٨٠هـ): ((وأمَّا تَفاعَلْتُ فلا يكونُ إلَّا وأنتَ تُريدُ فعلَ اثنينِ فصاعداً، ولا يجوزُ أنْ يكونَ مُعـمَلًا في مفعولٍ، ولا يتعدّى الفعلُ إلى منصوبٍ))(٥).

فيكونُ الفعلُ لازمًا (مكتفيًا بالفاعلِ) ويجبُ فيه العطفُ بالواو، والفاعلُ وما عُطِفَ عليهِ يكونُ في المعنى فاعلًا ومفعولًا، فهذه الصِّيغةُ تدلُّ على ((التَّشريك بينَ اثنينِ فأكثرَ، فيكونُ كلٌّ منهما فاعلًا في اللفظِ مفعولًا في المعنى))(٦)، إذ ((إنَّ التسامحَ يُفتَرضُ فيه أنْ يكونَ علاقةً بينَ طرفينِ مُسامِحٍ ومُسامَحٍ معهُ))(٧).

ويظهر ممَّا سبق أنَّ المعنى اللغويَّ للتسامحِ يدلُّ على التساهلِ والرِّفقِ في التعاملِ مع الآخرينَ وتركِ الشدَّةِ والصعوبةِ، ولهُ دلالةٌ على اللِّينِ في الخِطابِ والحوارِ عندما تتكلَّمُ معَ مَنْ تختلفُ معهُ.

والتَّسامحُ في الاصطلاح هـو ((بـذلُ مـا لا يجـبُ تفـضُّلًا))(٨) أو ((تـركُ مـا يـجـبُ تَنزُّهًا))(٩)، وهـذا يعني أنَّ المُتسامِحَ تعرَّضَ لظُلمٍ أو تجاوزٍ لكنَّهُ رفضَ أخذَ حقِّه، فبذل ما لا يجبُ منهُ أو تركَ ما يجبُ إيمانًا منه بمبدأ التسامحِ، وهو ((احتمالُ المرءِ بلا اعتراضٍ أو اعتداءٍ على حقوقه الدقيقة بالرَّغمِ من قدرته على دفعه))(١٠)، فـالمُتسامحُ يتحمَّلُ موقفَ الآخرِ ويصبرُ على تصرُّفاتٍ لا يحبُّها ولا يرغبُ فيها، بل يعدُّها أحيانًا مناقضةً لمنظومته الفكريَّةِ والأخلاقيَّة.

وهـذا لا يعني قبولَ الظُّلمِ الاجتماعيِّ، بل يعني تصحيحَ المسارِ بتحريرِ الإنسانِ من دوافعِ الانتقامِ والثأرِ والشرِّ الذي يختزنُ في الماضي، إذ يمنحُهُ التَّسامحُ القدرةَ على الإصلاحِ في الحاضرِ والتطلُّعِ المُتفائلِ إلى المستقبلِ، فهو ((لا يعني بأيِّ حالٍ من الأحوالِ التنازلَ عن المعتقدِ أو الخضوعَ لمبدأَ المساومةِ والتنازلِ، وإنَّما يعني القبولَ بالآخرِ والتعاملَ معهُ على أُسسِ العدالةِ والمساواةِ بصرفِ النظرِ عن أفكارِهِ وقناعاته الأُخرى...))(١١).

فتسامُحُك لا يعني تخلِّيكَ عَن معتقداتكَ أو مبادئكَ، بل يعني تفهُّمُكَ لوجهاتِ نظرِ الآخرينَ المختلفة فيما يتعلَّقُ باختلاف العقيدةِ أو السُّلوكِ من دونِ أنْ توافقَ عليها، وبذلك تكونُ قد حكَّمتَ عقلَكَ ووعيكَ، ولم تخضعْ لهوى نفسِكَ، فالتَّسامحُ يعني

((أنَّكَ تجاوزْتَ حاجاتِ الجسدِ وتخطَّيْتَ كلَّ الحواجز النفسيَّة، يعني أنَّك تحرَّرْتَ من عبوديَّةِ الجسدِ وأصبحْتَ سيِّدَ نفسٍ. وهكذا صرتَ تتصرَّفُ بوعيٍ غيرَ خاضعٍ لقوى خارجيَّةٍ هي تحدِّدُ قرارك، أنت الآنَ حُرٌّ التصرُّفِ بكاملِ طاقتكَ))[١٢].

إنَّ التسامحَ يحرِّرُنا من قيودٍ كثيرةٍ، ويُخمدُ معاركَنا الداخليَّةَ، ويُشعرُنا بالتَّرابطِ القويِّ بينَ أفرادِ المجتمعِ، فمَنْ قرَّرَ السَّماحَ فقد حرَّرَ نفسَهُ من قيودِ النفسِ الأمَّارةِ بالسوءِ وأصغى لصوتِ العقلِ، ومَنْ قرَّرَ عدمَ السَّماحِ فقد كبَّلَ نفسَهُ واستمرَّ في معاناتِه.

فالتَّسامحُ ((يعني الاستعدادَ لاتِّخاذِ الموقفِ المُتسامحِ، وهو لا يُمكنُ أنْ يُعَدَّ فضيلةً إلَّا عندما يُمكنُ للمرءِ ألَّا يكونَ مُتَسامحًا، فهو قريبٌ من مفهومِ العَفْوِ والصَّفْحِ، فليسَ في استطاعتنا أنْ نتحدَّثَ عَن موقفٍ مُتسامحٍ في حالِ شخصٍ يضطرُّ وهو مُضطَهَدٌ وفي موقفِ الضَّعيفِ... لذلكَ فالمُتسامحُ هو مَنْ في موقفِ القُوَّةِ...))[١٣].

والاستعدادُ للتَّسامحِ هو أنْ ننسى الماضيَ الأليمَ بكلِّ إرادتنا واختيارنا، وأنْ نرفضَ الكرهَ والحقدَ والأنانيَّة، وأنْ نتخلَّى عن رغبتنا في إيذاءِ الآخرينَ والانتقامِ منهم بسببِ موقفٍ حدثَ في الماضي، فأحيانًا ((نجدُ شخصًا يفكِّرُ بالمنطقِ ويقولُ: أنا إنسانٌ متسامحٌ، ولكنَّهُ إذا تذكَّرَ الماضيَ وفكَّرَ بتجربةٍ معيَّنةٍ سيجدُ نفسَهُ ما زالَ مُتعَبًا نفسيًّا من تلك التجربة))[١٤].

إنَّ التسامحَ هو الخروجُ من الظلمةِ إلى النُّورِ، والتحرُّرُ من سجنِ الخوفِ والغضبِ التي حبسَتْنا فيهِ عقولَنا، فعندما نُسامحُ تلتئمُ جراحُ الماضي وتنمو قيمُ المحبَّةِ، وبالتسامحِ تتغيَّرُ أفكارُنا الخاطئةُ وتتلاشى ذكرياتُ الماضي الأليمةُ، وهذا يحتاجُ إلى وعيٍ وتأمُّلٍ، فالتسامحُ ((يُحرِّركَ يمنحكَ الحريَّةَ، لكنَّ هذا التسامحَ هو الآتي عن طريقِ التأمُّلِ... إذا كان التأمُّلُ لا يتمُّ بالطريقةِ السليمةِ فممَّا لا ريبَ فيهِ أنَّ التسامحَ لن يأتيَ؛ ذلك لأنَّهُ يُشكِّلُ المعيارَ الحقيقيَّ لما تقومُ بهِ من تأمُّلٍ...))[١٥].

والتَّسامحُ ضرورةٌ حياتيَّةٌ اجتماعيَّةٌ، إذ ((لا شكَّ أنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ أنْ يعتزلَ المجتمعَ ويقطعَ حبالَ روابطه مع أبناءِ نوعهِ وينزوي عن النَّاسِ، إذ إنَّ الإنسانَ موجودٌ محتاجٌ لا حدَّ لحاجاتهِ ولا حصرَ لفقرِهِ، فهو بحكمِ فطرته وضرورته تبتني حياتُهُ على الأسسِ الاجتماعيَّةِ لتَحلَّ تحتَ ظلالِ التعاونِ والمساعداتِ عُقَدَ الحياةِ... إنَّ من وظائفنا الأساسيَّةِ في عالمِ المعاشرةِ أنْ نتَّصفَ بصفةِ العفوِ والإغماضِ عن أخطاءِ الآخرينَ، فضلًا عن أنَّ

الروابطَ الإنسانيَّةَ نفسَها تقتضي ذلك، وأنَّ أحسنَ الطُّرقِ للتعايشِ السلميِّ أنْ يُسالمَ الإنسانُ الآخرينَ من أبناءِ نوعه...))(١٦).

وقد دعا الإسلامُ إلى التَّسامحِ، إذ ((إنَّ المنظومةَ الأخلاقيَّةَ والسلوكيَّةَ التي شرَّعها الدِّينُ الإسلاميُّ مِن قبيل الرفقِ والإيثارِ والعفوِ والإحسانِ والمداراة والقولِ الحسنِ والأُلفةِ والأمانةِ وحثِّ المؤمنينَ على الالتزامِ بها وجعلها شخصيَّتهم الخاصَّةَ والعامةَ كلَّها تقتضي الالتزامَ بمضمونِ مبدأ التَّسامحِ))(١٧).

فالتسامحُ في الإسلامِ عقيدةٌ ومنهجٌ وسلوكٌ وهو نظريَّةٌ وتطبيقٌ؛ التزامًا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالتسامحُ مع الآخرِ لا يعني ((أنْ يتخلَّى المرءُ عن قناعاته، ولا أنْ يكُفَّ عن إظهارِها والدِّفاعِ عنها والدَّعوةِ إليها))(١٨)، بل يعني قبولَهُ على حاله والامتناعَ عن استعمالِ أيَّةِ وسيلةٍ من وسائل العنفِ معهُ، من أجلِ تحقيقِ التعايشِ السِّلميِّ بينَ أبناءِ المجتمعِ.

علاقة التسامح بالضمير في النظريَّة الأخلاقيَّة:

التَّسامحُ هو القدرةُ على تجاوزِ أخطاءِ الماضي، وهو المعاملةُ اللطيفةُ والمعاشرةُ الحسنةُ ورعايةُ الجوارِ وبرُّ الوالدين ومساعدةُ المحتاجينَ واحترامُ حقوقِ الناس أجمعين، ويكونُ ذلكَ مِن منطلق القوَّة لا الضعف، وهدفُهُ تحقيقُ المبدأ وليسَ وسيلةً لتحقيقِ مصالحَ شخصيَّةٍ ومكاسبَ عاجلةٍ مؤقَّتةٍ.

ولكنَّ هذهِ الرَّغبةَ في التَّسامحِ أو في أيِّ فعلٍ أخلاقيٍّ مختلفةٌ من شخصٍ لآخرَ ومن زمانٍ لآخرَ، إذ ((إنَّ تغايرَ المفهوم يخلقُ إرباكًا واضحًا في معرفةِ حقيقيَّةِ القيمةِ الفكريَّةِ، فكلُّنا قد يتَّفقُ على أهميَّةِ الالتزام بالأخلاقِ والنزاهةِ والشَّرف، ولكن نظرًا لاختلافِ المعنى باختلافِ الزَّمانِ والمكانِ والظروفِ والقائلِ والمُستمعِ نجدُ تضاربًا وتفاوتًا في معنى الأخلاقِ))(١٩).

لقد حصلَ الاختلافُ بينَ المذاهبِ الإسلاميَّةِ في موضوعِ التحسينِ والتقبيحِ في الأفعالِ، فذهبَ الأشاعرةُ إلى نفي التحسينِ والتقبيحِ العقليَّينِ بدليلِ وقوعِ الاختلافِ في وصفِ

بعضِ الأفعالِ بالحُسنِ أو القبحِ واستحسانِ فعلِ بعضِ الأفعالِ القبيحةِ في بعضِ حالاتِ الضَّرورةِ، وقصروا الحكمَ بالحُسنِ والقُبحِ على سلطةِ اللهِ تعالى، وذهبُ الشيعةُ والمعتزلةُ إلى إثباتِ التحسينِ والتقبيحِ العقليَّينِ بدليلِ اتِّفاقِ العقلاءِ على وصفِ بعضِ الأفعالِ بالحُسنِ أو القُبحِ، ولا يتوقَّفُ ذلكَ على الشَّرعِ؛ لأنَّ حُسنَ العدلِ وقُبحَ الظُّلمِ مثلًا متَّفقٌ عليهِ عندَ جميعِ النَّاسِ حتَّى الماديِّينَ والمُلحدينَ الذينَ يرفضونَ الدِّينَ من أساسه(٢٠).

وقد ذهبَ بعضُ الفلاسفةِ إلى ((أنَّنا نملكُ بصيرةً تُعرِّفنا الخيرَ والشرَّ، وقد رأَوْا أنَّ ضميرَنا هو خاصيةٌ فطريَّةٌ يمكننا أنْ نثقَ بها في اطمئنانٍ تامٍّ: هادٍ وموثوقٌ به ومعصومٌ من الخطأ))(٢١). وهذا الكلامُ لا يمكنُ القبولُ به؛ لأنَّ مخالفٌ للحقيقةِ، فالعقلُ وإنْ كانَ موجِّهًا ومرشدًا في مواقفَ مختلفةٍ، لكنَّهُ ليسَ معصومًا من الخطأ فضلًا عن الصِّراعِ الشَّديدِ بينَهُ وبينَ الغرائزِ؛ إذ ((لا يكفي أنْ يكونَ الإنسانُ ذا إرادةٍ طيِّبةٍ لكي يكونَ عملُهُ أخلاقيًا... قد يكونُ من الممكنِ أنْ يُخطئَ الإنسانُ خطأً فاحشًا في نظرِهِ إلى الخيرِ والشرِّ والعدلِ والظُّلمِ. وليسَ يكفي أنْ يُريدَ الإنسانُ من أعماقِ نفسهِ عملَ ما يجبُ عملُهُ، بل إنَّهُ من الضروريِّ أن يعرفَ ذلكَ، وأنَّ تلكَ المعرفةَ لأصعبُ هذهِ الأمورِ غالبًا))(٢٢).

ويمكنُ الاعتمادُ على الضَّميرِ إذا كانَ معصومًا، وهذا أمرٌ غيرُ متحقِّقٍ؛ ((لذلكَ لا نستطيعُ الاعترافَ بعصمةِ الضَّميرِ، من مجرَّدِ شعورنا... وربَّما نكتشفُ أنَّ الضَّميرَ أو الأهواءَ التي تتظاهرُ بأنَّها الضَّميرُ؛ تُشيرُ أو توافقُ على أنماطٍ متعارضةٍ من الأفعالِ، وبذلكَ لا يُعَدُّ الضَّميرُ مرشدًا أخلاقيًا كافيًا))(٢٣). فما دامَ الإنسانُ مسجونًا في إرادتهِ الفرديَّةِ فإنَّهُ لا يُمارسُ أعمالَهُ عن وعيٍ وبصيرةٍ وحكمةٍ في المواقفِ كلِّها، فقد يُمارسُ أعمالَهُ بما ينسجمُ مع غاياتهِ الخاصَّةِ ومصالحهِ الضيِّقةِ وبما يُشبعُ غرائزَهُ وشهواتهِ؛ لأنَّهُ لا يملكُ بصيرةً أخلاقيَّةً أصيلةً منسجمةً مع رؤيةِ الدِّينِ الحقِّ.

وهذا لا ينفي وجودَ قدرةٍ لدى الإنسانِ على التمييزِ بين الخيرِ والشرِّ؛ ((فالأكثريَّةُ من النَّاسِ بل ربَّما جميعُهم يكونُ لهم ضميرٌ متى أدركوا سنَّ الرُّشدِ، فحينما يشرعُونَ في عملٍ فإنَّهم يشعرونَ بأنَّ هذا العملَ إمَّا أنْ يكونَ واجبَ التَّنفيذِ وإمَّا أنْ يكونَ واجبَ التَّركِ، وإمَّا أنْ يكونَ من قبيلِ المباحِ. وحينما يقومونَ بالعملِ سواءٌ أراعوا الضَّميرَ أم لم يراعُوهُ؛ فإنَّهم يشعرونَ إثرَ القيامِ بهِ بمشاعرَ مختلفةٍ))(٢٤).

إنَّ عقولَنا ((تُدركُ حُسنَ الصِّدقِ النَّافعِ وردِّ الوديعةِ ووفاءِ الدَّينِ، وقبحَ الكذبِ والخيانةِ والتعاونِ على الإثمِ كما نُدركُ ضوءَ الشَّمسِ، وكما نعلمُ أنَّ ضمَّ واحدٍ إلى مثلهِ يُصبحانِ اثنينِ...)) (٢٥)، ولكنَّ الاختلافَ يحصلُ بسببِ الانحرافِ الخلقيِّ المتكرِّرِ الذي يؤدِّي بالإنسانِ إلى العمى الخلقيِّ، فللقيمِ ((وجودها الخاص في استقلالٍ تامٍّ عن تقييماتنا الخاصَّة، بدليل أنَّها تفرضُ نفسها على كلِّ وجدانٍ بشريٍّ بطريقةٍ أوليَّةٍ حدسيَّة... ولكنَّ من المؤكَّد أنَّ المسؤولَ عن عجزِ بعضِ الأشخاصِ عن إدراكِ القيمِ أو التمييزِ بينها إنَّما هو العمى الخُلُقيُّ الذي قد يرجعُ إلى انعدامِ النُّضجِ أو نقص التربية لديهم. فالضَّعفُ الذي يتَّسمُ به بعضُ الأشخاصِ من حيثُ مدى إحساسهم بالقيمِ إنَّما هو ظاهرةٌ سيكولوجيَّةٌ لا يمكنُ أنْ تطعنَ في موضوعيَّةِ القيمِ... إنَّ الإحساسَ بالقيمِ يسيرُ جنبًا إلى جنب مع نضج ملكة التَّمييزِ لدى الفردِ ونموِّ القدرةِ على الفهمِ لدى البشريَّة، والحقُّ أنَّ القيمَ نفسَها لا تتغيَّرُ، وإنَّما الذي يتغيَّرُ هو إدراكُنا لها أو نفاذُ بصيرتنا إليها؛ وذلك لأنَّ القيمَ - بطبيعتها - موضوعيَّةٌ قائمةٌ بذاتها، وأمَّا إدراكُنا لها فهو أشبهُ ما يكون بعمليَّةٍ ذهنيَّةٍ تتغيَّر بتغيُّر الزاويةِ التي نوجِّهُ منها أبصارَنا إلى تلك القيمِ...))(٢٦).

والقيمُ ((هي المثاليَّاتُ التي تسودُ في الأفرادِ وتتغلغلُ في نفوسهم ويتوارثُها الأجيالُ ويدافعونَ عنها قدرَ الإمكانِ...))(٢٧)، والإنسانُ ((من دونِ القيمِ والمبادئِ ومن غيرِ التَّزكيةِ والتعليمِ لن يُنتجَ أفضلَ من سفكِ الدِّماءِ والإفسادِ في الأرضِ))(٢٨).

والفعلُ الأخلاقيُّ ((هو الفعلُ الذي صدرَ إلى الإنسانِ فيه أمرٌ من ضميرِه، ويتمثَّلُ هذا الأمرُ من دونِ اعتراضٍ وليسَ من أجلِ هدفٍ أو غرضٍ، وإنَّما هو يفعلُهُ طاعةً لأمرِ وجدانه))(٢٩)، وبنى الفيلسوفُ الألمانيُّ (كانت) الفعلَ الأخلاقيَّ على أساسِ الواجبِ، إذ يرى أنَّ ((العمل لا يتمُّ بقيمةٍ أخلاقيَّةٍ إلَّا إذا أُريدَ به أداءُ الواجبِ... القيمةُ الأخلاقيَّةُ للعملِ الذي يُنجَزُ عن مسؤوليةٍ لا تستهدفُ غايةً أو غرضًا، ولا تنشأ من صورةِ النتيجةِ التي يحصلُ عليها الإنسانُ في أعقابِ العملِ الأخلاقيِّ، وإنَّما هي متَّصلةٌ فقط بالنيَّةِ التي يقومُ على أساسها ذلك العملُ))(٣٠).

فمثلًا عندما أُسامحُ الآخرينَ وأتعاطفُ معهم أقصدُ من ذلك إسعادَهم وإدخالَ السُّرورِ على قلوبِهم، ولا أقصدُ من ذلك مصلحةً شخصيَّةً، إذ ((لا يعني أنَّ سرورَهم قد

أصبحَ سروري، أو أنَّ ألَمَهم قد أصبحَ ألمي، بل هو يعني أنْ أُشاركَ في مسرَّاتِ الآخرينَ بوصفها مسرَّاتِهم، وأنَّني أُشاركُ في آلامِهم بوصفِها آلامَهم، فليسَ في التعاطفِ الحقيقيِّ أيُّ تقمُّصٍ وجدانيٍّ أو اندماجٍ عاطفيٍّ))(٣١)، بمعنى أنَّ مشاركتي الآخرينَ آلامهم أو مسرَّاتهم وتعاطفي معهم لا يعني أنَّ مشاركتي لهم تُخفِّفُ عنِّي الألمَ أو تُحقِّقُ لي السَّعادةَ، وتكونُ بذلك منفعةً خاصَّةً لي، بل بمعنى أنَّ مشاركتي لهم تُحقِّقُ السَّعادةَ لهم، والضَّميرُ (الإحساسُ بالواجب) هو الذي يدفعُني لذلك السُّلوكِ.

إنَّ نظريَّةَ الواجبِ أو الضَّميرِ تلتقي مع النظريَّةِ الدينيَّةِ التي ترى أنَّ كلَّ فعلٍ أمرَ بهِ اللهُ تعالى واجبٌ، فالإنسانُ ((جاءَ إلى الدُّنيا مُكلَّفًا، فهو قد وُلِدَ حاملًا للتكاليفِ الأخلاقيَّةِ، أي إنَّ هذهِ التكاليف مغروسةٌ في أعماقِه، وهناكَ قوَّةٌ في باطنِه تُصدِرُ إليهِ الأوامرَ باستمرارٍ))(٣٢).

واصطلاحُ الواجبِ في الأخلاقِ ((قد ظهرَ ليؤكِّدَ الالتزامَ بالعملِ الأخلاقيِّ دونَ نظرٍ لما يترتَّبُ عليهِ من نتائجَ أو آثارَ، أو قد جاءَ ـ بعبارةٍ أخرى ـ ليؤكِّدَ أنَّ الواجبَ أو العملَ الأخلاقيَّ هو العملُ الذي يكونُ فقط احترامًا للقانونِ أو القاعدةِ الأخلاقيَّةِ التي يُشرِّعُها العقلُ... ولا شكَّ أنَّنا في الفكرِ الإسلاميِّ نجدُ من الأصولِ الأخلاقيَّةِ التي تحدِّدُ سلوكَ الإنسانَ المُسلمِ ما يقتربُ من هذا وإنْ لم يُطابقْهُ تمامَ المطابقةِ، مثالُ ذلك العملُ لوجهِ اللهِ تعالى دونَ انتظارٍ لما يترتَّبُ عليهِ من آثارٍ...))(٣٣).

إنَّ القانونَ الأخلاقيَّ قانونٌ منطقيٌّ شاملٌ، فاللهُ تعالى لا يمكنُ أن يضعَ إلَّا قانونًا أخلاقيًّا مطلقًا، إذ ((إنَّ تباينَ المعاييرِ الأخلاقيَّةِ التي نُلاحظها من مكانٍ إلى مكانٍ ومن عصرٍ إلى عصرٍ، لا يمكنُ أن يكونَ راجعًا إلَّا إلى الجهلِ بإرادة الله. ولو كانَ النَّاسُ جميعًا يعرفونَ الإرادةَ الإلهيَّةَ لكانَ لهم جميعًا قانونٌ أخلاقيٌّ واحدٌ، ولَوَصَفَ الجميعُ نفسَ الأشياءِ بأنَّها خيِّرةٌ ونفسَ الأشياءِ بأنَّها صالحةٌ))(٣٤).

فالضَّميرُ الأخلاقيُّ ((هو ما لدى الإنسان من استعداد لتمييزِ الخيرِ من الشرِّ، ورغبتُه الطبيعيَّةُ في الخيرِ ونفورُهُ من الشرِّ))(٣٥)، فضميرُ الإنسانِ هو صفحةٌ بيضاءُ تُبصرُ الحقيقةَ وتستطيعُ التمييزَ بينَ الخيرِ والشرِّ، وهذه القدرةُ كامنةٌ في كلِّ إنسانٍ ما لم يُلوِّثْ فطرتَهُ ويفعلْ ما يحجبُ عنهُ رؤيةَ الحقائق؛ فمن المعلوم أنَّ لكلِّ فعلٍ ردَّةَ فعلٍ، وارتكابُ

الأفعالَ الخاطئةَ والشريرةِ سينعكسُ سلبًا على الإنسانِ، فتختلُّ موازينُ التقييمِ عنده وتضطربُ المعاييرُ.

فينبغي التأمُّلُ ليكونَ لدينا عقلٌ هادئٌ ومتَّزنٌ وصاف، وعندما نصلُ لمثلِ هذه المرحلةَ نستطيعُ أنْ نصلَ إلى حقائقَ واضحةً في مجالِ التَّقييمِ، فالتَّسامحُ مثلًا تصرُّفٌ مقبولٌ بل مُستَحْسَنٌ؛ لأنَّه فَهْمٌ لأفكارِ الآخرينَ واستيعابٌ لمشكلاتِهم وإعطاؤُهم فرصةً للرجوعِ عن تصرُّفاتهم السَّابقة، أفلا ترغبُ في رؤيةِ إشراقةِ الابتسامة على وجوهِهم وبريقِ الأملِ في قلوبِهم! إنَّ التَّسامحَ يُلغي الأفكارَ السلبيَّةَ في داخلِ عقلِكَ فيمنحُكَ السَّعادةَ، ويُعطي الآخرينَ إحساسًا بالأملِ وفرصةً للتعلُّمِ فيمنحُهم السَّعادةَ.

إنَّ الإيمانَ بمبدأ التَّسامحِ ((يُؤسِّسُ قاعدةَ قبولِ الآخرِ المختلفِ واحترامِ حقِّه في الوجودِ ومشاركته الحياةَ والتعايشِ المُشترَكِ على هذا الكونِ والعملِ على فتحِ قنواتِ الحوارِ والانفتاحِ؛ بُغيةَ المزيدِ من إذابةِ الجليدِ والعملِ سويًّا لإحلالِ العدالةِ والحريَّةِ ونشرِ الأخلاقِ والفضيلةِ والتَّسامحِ بينَ الشُّعوبِ. إنَّ مبدأَ التَّعايشَ من ركائزِ إقامةِ المجتمعِ الإنسانيِّ السَّليمِ والمُستقرِّ، ومفتاحُ تحقيقِ الأمنِ الذاتيِّ للفردِ والمجموعاتِ، فالتَّعايشُ يعني نبذَ استخدامِ القوَّةِ والسِّلاحِ في العلاقةِ بينَ المجموعاتِ المختلفةِ، وهو أساسُ السَّلامِ الاجتماعيِّ...))(٣٦).

الصحيفة السجاديَّة تدعو إلى التسامح والقيم الخلقيَّة الأخرى:

استعملَ أهلُ البيت عليهم السلام أسلوبَ الخطابِ والدُّعاءِ في تربيةِ أصحابِهم وسائرِ أبناءِ المجتمعِ المُسلمِ، وكانت سيرتُهم حافلةً بالخطاباتِ والبياناتِ والأدعيةِ التي تُخاطبُ جميعَ مقوِّمات الشخصيَّة، إذ تُخاطبُ العقلَ والقلبَ والإرادةَ لتستجيشَ فيها عناصرَ الخيرِ والصَّلاحِ، وتُطاردَ عناصرَ الشرِّ والانحراف، موجِّهةً الأنظارَ إلى خالقِ الكونِ ورقابته على سكناتِ الإنسانِ وحركاته، ومحذِّرةً من مزالقِ الشيطانِ والنَّفسِ الأمَّارةِ بالسوءِ والمغرياتِ التي تستهوي الإنسانَ ليركنَ إليها وينشغل باللهث وراءَها تاركًا مسؤوليَّتَهُ في الحياةِ، وموضِّحةً آثارَ الأعمالِ الصالحةِ والطالحةِ في الدُّنيا والآخرة(٣٧).

إنَّ أدعيةَ الصَّحيفةِ السَّجَّاديَّة ((اتَّجهت إلى الانفتاحِ على الحياةِ بكلِّ ما فيها من أحداثٍ وأوضاعٍ وهمومٍ ومشاكلَ وقضايا تتَّصلُ بحياةِ النَّاسِ من الظلمِ والعدلِ والحقِّ والباطلِ والسِّلمِ والحربِ والفقرِ والغنى والمحبَّةِ والبغضِ وغيرِ ذلك. وقد كانت غايةُ تلك

المحاولة أَنْ تجعلَ من الدُّعاءِ مدرسةً تربطُ الإنسانَ بالحياةِ وتربطُ الحياةَ باللهِ، وتؤكِّدُ المفهومَ الإسلاميَّ الذي لا يجعلُ من حياةِ الإنسانِ معنًى ماديًا بعيدًا عن الرُّوحِ، بل يُريدُ أن يُوجِدَ التمازجَ الحيَّ بينَ الرُّوحِ والمادَّةِ في وحدةٍ رائعةٍ تنسجمُ معَ اتِّصالِ الجانبِ الرُّوحي بالجانبِ الماديِّ في كيانِ الإنسانِ. فلم تُردْ للإنسانِ أَنْ ينهزمَ وينعزلَ عن وجودهِ في عمليَّةِ هروبٍ سلبيٍّ بحجَّةِ الانقطاعِ إلى اللهِ والابتعادِ عن المادَّةِ، بل أرادت لهُ أن يجعلَ من صلتهِ باللهِ حافزًا إيجابيًّا يدفعُهُ إلى العملِ من أجلِ تحقيقِ إرادةِ اللهِ في بناءِ الحياةِ بشكلٍ أفضلَ))(٣٨).

فالصَّحيفةُ السَّجَّاديّةُ ((رسالةٌ تربويَّةٌ إلى الأجيالِ تدعو الداعيَ إلى الالتزامِ بخطِّ التَّهذيبِ الإسلاميِّ الصَّحيحِ الذي جاءت بهِ شرعةُ المصطفى ﷺ من دونِ تشويهٍ أو تمويهٍ ممَّا أذاعهُ المغرضونَ وأشاعهُ المفسدونَ من الحاكمينَ باسمِ الدِّينِ وتَسمَّوا بأُمراءِ المؤمنينَ...))(٣٩).

وقد جاءت الصَّحيفةُ السَّجَّاديَّةُ في عصرٍ ((طغَت فيه الأحداثُ الرهيبةُ والمشاكلُ السياسيةُ القائمةُ على حياةِ المسلمينَ، فأحالتْها إلى سُحُبٍ مظلمةٍ ليسَ فيها أيُّ بصيصٍ من نورِ الإسلامِ وهَديهِ وإشراقهِ، فقد انشغلَ المسلمونَ بالتكتُّلِ الحزبيِّ والسياسيِّ سعيًا وراءَ مصالحِهم وأطماعِهم، ولم يعُدْ هناك أيُّ ظلٍّ لروحانيَّةِ الإسلامِ وتعاليمِه وآدابِه وحكمِه. لقد فتحت الصَّحيفةُ السَّجَّاديَّةُ آفاقًا جديدةً للوعي الدينيِّ لم يكُن المسلمونَ يعرفونَهُ من ذي قبلُ، فقد دعَتْ إلى التبتُّلِ وصفاءِ الرُّوحِ وطهارةِ النَّفسِ والتجرُّدِ منَ الأنانيَّةِ والجشعِ والطَّمعِ، وغيرِ ذلك منَ النزعاتِ الشرِّيرةِ، كما دعَت إلى الاتصالِ باللهِ تعالى خالقِ الكونِ وواهبِ الحياةِ الذي هو مصدرُ الفيضِ والخيرِ لجميعِ الكائناتِ...))(٤٠).

فالإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام أمامَ هذهِ الأوضاعِ والأحداثِ والمشكلاتِ ((مسؤولٌ أنْ يدرِّبَ الأمَّةَ على القناعةِ بأنَّ على عاتقِه إحياءَ الفكرةِ وتحريكَ الأحاسيسِ والدِّفاعَ عن ذلك الحقِّ ولو بلسانِ الدُّعاءِ وجعْلَ الرِّسالةِ مُستمرةً ولو بالأملِ والرَّجاءِ ونَقْلَها إلى الأجيالِ... فلا بُدَّ أنْ يكونَ قادرًا على عمليَّةِ الدُّعاءِ، وأنْ يُضمرَ في نفسهِ الارتباطَ بربِّه، وأنْ يُعلنَ عن أفكارهِ وعقائدهِ بأُسلوبِ المناجاةِ والدُّعاءِ ويُعبِّرَ عن آمالهِ وآلامهِ ومكنونِ نفسهِ، وأنْ يُبرزَ هتافاتهِ، وأنْ يُطالبَ برغباتهِ المهضومةِ والمغصوبةِ... والنطقُ بالدُّعاءِ وسيلةٌ للإعلانِ عن المعتقداتِ وتبليغِ الرسالاتِ وتنميةِ الشُّعورِ بالمسؤولياتِ في أحلكِ الظروفِ وأحرجِها...))(٤١).

إنَّ الأمويِّينَ انحرفوا عن نهجِ الإسلامِ، فقد ((أحيوا مجالسَ الطربِ والمجونِ،

واستبدلوا تلاوةَ القرآنِ بغناءِ الجواري، قلبوا المفاهيمَ فحرَّموا الحلالَ وأحلّوا الحرامَ))[٤٢]، فسادت حياةُ اللّهوِ والعبثِ والمجونِ في كثيرٍ من أنحاء العالمِ الإسلاميِّ ولاسيَّما في الأماكنِ المقدَّسة كالمدينة المنوَّرة ومكَّةَ المكرَّمة، فقد شاعَ الغناءُ والرقصُ وشربُ الخمرِ، فجاءت الصحيفةُ السجَّاديَّةُ سدًا منيعًا وشامخًا لحمايةِ الإسلامِ وصيانتهِ من هذا التفسُّخِ الجاهليِّ الذي أوجدهُ الحكمُ الأمويُّ، فجسَّدت ما في الأمَّة من الانحطاط الفكريِّ والاجتماعيِّ ودعَتها إلى الانطلاقِ والتحررِ من ذلِّ المعصيةِ إلى عزِّ طاعة الله عزَّ وجلَّ[٤٣].

فإذا شاعت مظاهرُ الانحرافِ في المجتمعِ وهذا ما حصلَ في زمنِ الحُكَّامِ الأمويِّينَ الذينَ عملوا على تضليلِ الأمَّة بكلِّ وسائلِ الغوايةِ والانحراف؛ فإنَّ الأئمةَ عليهم السلام هُم الأشخاصُ الوحيدونَ القادرونَ على تربيةِ النَّاسِ تربيةً إسلاميَّةً صحيحةً، وبطاعتهم تُنالُ الحريَّةُ الحقيقيَّةُ والسَّعادةُ؛ لأنَّهم أعرفُ النَّاسِ بمصالحهم، ((فمَنْ آمنَ بهم وتمسَّكَ بعروتهم الوثقى ليس لهُ عليهم منَّةٌ، ومَنْ أخذَ عنهم واسترشدَ بتعاليمهم نالَ السَّعادةَ الكليَّةَ في الدَّارينِ وحُشِرَ معَ الملائكةِ والأئمَّة الطَّاهرينَ))[٤٤].

فلمَّا رأى زينُ العابدينَ عليه السلام أنَّ هناكَ انحرافًا في القِيَمِ قدَّمَ النَّصيحةَ بأسلوبِ الدُّعاء من أجلِ إصلاحِ منظومةِ القِيَمِ برؤيةٍ إسلاميَّةٍ خالصةٍ، فعندما ((يُدركُ مصلحٌ اجتماعيٌّ أنَّ جانبًا من السُّلوكِ الفرديِّ أو الاجتماعيِّ لأعضاءِ المجتمعِ ليسَ منطبقًا على الموازينِ العقليَّةِ أو الشَّرعيَّة؛ ولذا فهو يُحاولُ تغييرَ هذا الوضعِ الحالي، ولكي يقودَ النَّاسَ إلى السُّلوكِ الصَّحيحِ لا مفرَّ لهُ مِنْ فضحِ وتخطئةِ القِيَمِ السَّلبيَّةِ الكاذبةِ وإشاعةِ وترويجِ القِيَمِ الإيجابيَّةِ الصَّادقةِ...))[٤٥].

فهل يُعقلُ أنْ يَرى الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام ما حلَّ بالأمَّةِ من تفسُّخٍ خلقيٍّ وانحرافٍ عن مبادئِ الإسلامِ وشيوعٍ في الأحقادِ وانتشارٍ في الحروبِ من دونِ أيِّ رفضٍ أو إنكارٍ أو مواجهةٍ؟!

التسامح مع الوالدين:

وكانَ من دعائه عليه السلام لأبويه: ((اللهمَّ وما تعدَّيا عليَّ فيه من قولٍ، أو أسرفا عليَّ فيه من فعلٍ أو ضيَّعاهُ لي من حقٍّ، أو قصَّرا بي عنه من واجبٍ فقد وهبْتُهُ لهما، وجُدْتُ به عليهما، ورغبْتُ إليك في وضعِ تبعتِهِ عنهما، فإنِّي لا أتَّهِمُهما على نفسي، ولا أستبطئُهما

في برِّي، ولا أكره ما تولَّياه من أمري يا ربِّ، فهما أوجبُ حقًّا عليَّ، وأقدمُ إحسانًا إليَّ، وأعظمُ منَّةً لديَّ من أنْ أقاصَّهما بعدلٍ، أو أجازيَهما على مثلٍ، أينَ إذًا يا إلهي طولُ شُغلِهما بتربيتي؟ وأينَ شدَّةُ تعبِهما في حراستي؟ وأين إقتارُهما على أنفسِهما للتَّوسعةِ عليَّ؟! هيهاتَ ما يستوفيانِ منِّي حقَّهما، ولا أُدركُ ما يجبُ عليَّ لهما، ولا أنا بقاضٍ وظيفةَ خدمتِهما، فصلِّ على محمَّدٍ وآلِه...))(٤٦).

فقد يتجاوزُ الوالدانِ عنِ الحدِّ الواجبِ في تربيةِ الأولاد ويقصِّرانِ معهم فلا يُحسنانِ تربيتَهم، ولكنِّي أهبُهما ذلكَ؛ لأنِّي لا أتَّهمُهما ولا أشكُّ في صدقِهما ولا أعتقدُ أنهما تباطآ في برِّي أو قصَّرا عمدًا، فقد وهبتُهما ـ يا إلهي ـ كلَّ ما فعلاه طلبًا لكرمِكَ وجودِكَ وتحصيلًا لتوفيقِكَ وهُداكَ، ورغبْتُ إليكَ لعلمي أنَّ الخيرَ في يديكَ، وإنْ صدر عنهم شرٌّ أو ضررٌ فقد اضمحلَّ في الخيرِ الكثيرِ الذي بذلاهُ من أجلي، وليسَ في طاقتي مكافأةُ ما بقيَ من خيرِهما عليَّ، فكيف أجازيهما بالتَّقصيرِ الذي صدر عنهما في حقِّي؟ فأينَ تذهبُ المدَّةُ الطويلةُ التي كانا يشتغلانِ فيها بتربيتي؟ وقد تعبا من أجلِ حراستي وضيَّقا على أنفسِهما من أجلِ التوسعةِ عليَّ، فلم يأكلا حتى آكلَ ولم يلبسا حتَّى ألبسَ، فأنا لا أستطيعُ مكافأتَهما أو ردَّ الجميلِ لهما، فحقِّي لا يُعادلُ شيئًا من حقِّهما؛ لأنَّهما أوجبُ حقًّا عليَّ لكثرةِ ما قدَّماهُ لي وأقدمُ إحسانًا إليَّ من إحساني إليهما لخدمتِها لي صغيرًا وأعظمُ أجرًا لتربيتِهما لي في وقتِ الصِّغَرِ الذي أعجزُ فيه عن خدمةِ والديَّ والإحسانِ إليهما، وهذا يجعلني أتجاوزُ عمَّا سلفَ من أخطائِهما أو إساءتِهما إليَّ في قولٍ أو فعلٍ أو إضاعةِ حقٍّ أو تقصيرٍ في واجبٍ لم يقصداه؛ لأنِّي أُحسنُ الظنَّ بهما وأشعرُ بالعجزِ والتقصيرِ في خدمتِهما لعظَمِ حقِّهما عليَّ وجليلِ صنعِهما بي(٤٧).

إنَّ تسامحَ الأولادِ مع الوالدينِ لا يمثِّلُ إلَّا شيئًا يسيرًا ممَّا قدَّماهُ، وهو خلقٌ رفيعٌ ينبغي أنْ يسودَ في ثقافةِ الأبناءِ وإنْ قصَّرا في تربيتِهم ورعايتِهم على الوجهِ الذي ينبغي؛ ((فهذه النِّقاطُ في أنفسِها مؤاخذاتٌ صحيحةٌ، إلَّا أنها بالقياسِ إلى الدَّورِ الأهمِّ في التربيةِ لا شيءَ، فيجبُ على الأولادِ هبةُ هذه الحقوقِ بأكملِها؛ لأنَّ الوالدَينِ أوجبُ حقًّا، والحقَّانِ لا يتعادلانِ، بل يترجَّحُ حقُّهما، لكونِهما أقدمُ إحسانًا وأعظمُ منَّةً بالتربيةِ والمحافظةِ على السَّلامةِ والصحَّةِ في حالِ الصِّغَرِ التي لا يُعادلُها إحسانٌ أو منَّةٌ أُخرى... إذ

حقُّ الأولادِ لا يعادلُ إلَّا جزءًا صغيرًا مِن حقوقهما، فيتساقطُ ما يعادلُهُ ويبقى الرجحانُ لحقوقِ الوالدينِ بلا معادلٍ يُعارِضُهُ...))(٤٨).

إنَّ العطاءَ الذي بذلَهُ الوالدانِ من أجلنا يُفصحُ عن حجمِ الحُبِّ الذي يكنُّونَهُ لنا في الوجدان؛ إذ ((إنَّ العطاءَ المطلقَ هو فعلٌ إنسانيٌّ بحتٌ، وهذا العطاءُ المطلقُ لا يُمكنُ أَنْ يكونَ إلَّا مِن خلالِ حبٍّ حقيقيٍّ، إنَّهُ عطاءُ المُحبِّ للمحبوب. ولا بُدَّ أَنْ تكونَ مقدرةُ العطاءِ موجودةً أصلًا عندَ هذا الإنسانِ، وتلكَ إحدى المؤهِّلاتِ الأساسيَّةِ التي تؤهِّلُ الإنسانَ لكي يكونَ قادرًا على الحُبِّ، أي أَنْ تكونَ لديه القدرةُ على تكريسِ حياتِه من أجلِ إنسانٍ آخرَ، أَنْ تكونَ لديه القدرةُ على العطاءِ النَّفسيِّ، أَنْ يُعطيَ جزءًا من وقتِه واهتمامِه وإحساسِه وتفكيرِه لإنسانٍ آخر، أَنْ يهتمَّ بقضاياه، أَنْ يعيشَ مشاكلَهُ، أَنْ يُدركَ بإحساسٍ صادقٍ معاناتِه... وهو حينَ يحبُّ يُدركُ هذا تمامًا؛ يُدركُ أنَّهُ قد اختارَ بوعيِهِ وإرادتِه أن يهبَ حياتَهُ لإنسانٍ آخر، أنَّهُ قرَّرَ واختارَ أَنْ يُعطيَ بلا مقابلٍ، أَنْ يتفانى، أَنْ يُضحِّيَ، وتلكَ هي متعتُهُ الكبرى، تلكَ هي قمَّةُ سعادتِه...))(٤٩).

فحبُّ الوالدينِ لأولادِهم ((حبٌّ غيرُ مشروطٍ يقومُ على العطاءِ أكثرَ ممَّا يقومُ على الأخذِ)) (٥٠)، فالوالدانِ يُحبَّانِ أولادَهم حبًّا عميقًا لا يملَّانِ منه ولا ينزعجانِ، بل هما مستأنسانِ بذلكَ غايةَ الاستئناس؛ إذ ((يكتسبُ الحبُّ طبيعةً خاصَّةً تختلفُ عن بقيَّةِ العواطفِ والمشاعرِ والأحاسيسِ حيثُ لا مللَ ولا رتابةَ ولا جمودَ...))(٥١)، فهل حبُّنا لهما يصلُ إلى ذلكَ الحبِّ؟ وهل يصحُّ أن نؤاخذَهما على خطأ ارتكباهُ معنا من دونِ قصدٍ غافلينَ عن كلِّ ما قدَّماهُ من أجلنا؟ إنَّهما لا يستحقَّانِ الحبَّ فحسب، بل يستحقَّانِ أن نقدِّمَ لهما حياتَنا، وأَنْ نُضحِّيَ بأوقاتِنا وأموالِنا مِن أجلِ سعادتِهما واستقرارِهما.

فيا أيُّها الابنُ ((عليك أَنْ تُسامحَ والديكَ عن الأخطاءِ التي وقعا فيها أثناءَ تربيتِكَ، عليك أَنْ تعلمَ أنَّ تلك الأخطاءَ كانت بلا قصدٍ منهما... فعلينا أَنْ نُسامحَ والدينا ونعلمَ أنَّهم كانوا يبذلونَ أقصى ما في جُهدِهم لتربيتِنا وجعلِنا أفضلَ منهم))(٥٢).

ومن مصاديقِ التَّسامحِ معَ الوالدينِ الدُّعاءُ لهم والتصدُّقُ عنهم، فقد رُوِيَ عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن معمَّر بن خلَّاد قال: ((قُلْتُ لأبي الحسنِ الرِّضا عليه السلام: أدعو لوالديَّ إذا كانا لا يعرفانِ الحقَّ؟ قالَ: ادعُ لهما وتصدَّقْ عنهما؛ وإنْ كانا

حيَّيــنِ لا يعرفــانِ الحــقَّ فــدارِهما فــإنَّ رســولَ اللهِ ﷺ قــالَ: إنَّ اللهَ بعثَــني بالرَّحمــةِ لا بــالعقوقِ))(٥٣). نسـألُ اللهُ تعـالى أن يوفِّقنـا لخدمـةِ الوالـدَينِ ويجعلَنـا مِمَّــنْ يسـتأنسُ برعايتِهما وتحقيـقِ سعادتِهما.

التسامح مع الجيران:

وكانَ من دعائه عليه السلام لجيرانهِ وأوليائهِ: ((واجعَلْـني اللهُـمَّ أَجزي بالإحسانِ مُسيئَهم، وأُعْرِضُ بالتجاوزِ عَن ظالمِهم، وأستعملُ حُسْنَ الظنِّ في كافَّتِهم، وأتولَّى بالبِرِّ عامَّتَهم، وأَغُـضُّ بصري عـنهم عفَّـةً، وأُلـينُ جانبي لهـم تواضعًا، وأَرِقُّ على أهـلِ البلاء منهم رحمةً، وأُسِرُّ لهم بالغَيْبِ مودَّةً، وأُحبُّ بـقاءَ النِّعمةِ عنـدهم نُصْحًا، وأُوجِـبُ لهُـم ما أُوجِبُ لحامَّتي، وأَرعى لهم ما أرعى لخاصَّتي، اللهُـمَّ صلِّ على محمدٍ وآله، وارزقْـني مثـلَ ذلـك منهـم، واجعـلْ لـي أوفـى الحظـوظِ فـيما عنـدهم، وزِدْهُـم بصيرةً في حـقِّي، ومعرفةً بفضلي حتَّى يسعدُوا بي وأَسعَدَ بهم، آمينَ ربَّ العالمين))(٥٤).

فالإمامُ عليه السلام هنـا يـدعو لجيرانـهِ وأوليائـهِ ويطلبُ مـن اللهِ تعـالى أَنْ يُوفِّـقَهُ لأنْ يُجازيَ المُسيءَ منهم بالإحسانِ، ويَصْفَحَ عن الظَّالمِ بالتجاوزِ والعفـوِ، ويعـملَ بحُسـنِ الظنِّ في جميعِهم فيحملَ أقوالَهم وأفعالَهُـم على ما يحسنُ شـرعًا وعـرفًا ما أمكنَ الحمـلُ عـليه، ويُعينَ عـامَّتهـم بالبرِّ لهـم والعطفِ عليهم والإحسانِ إليهم، ويغُـضَّ بصرَهُ عـمَّا لا يحـلُّ النَّظرُ إليهِ من عوراتِهم وزلَّاتِهم وعثـراتِهم، ويكونَ رفيـقًا معهـم متلطِّفًا بهـم مُتواضعًا لهُم، ويترحَّمَ على أهلِ البلاءِ منهم الذين أُصيبوا بمكروهٍ أو شدَّةٍ أو مرضٍ، ويُسرَّ لهم بقلبِهِ مودَّةً لا كالذين يقولونَ بأفواههم ما ليسَ في قلوبِهم، ويحـبَّ بقاءَ النعمةِ عندهم ودوامَها لديهم محبَّةَ نصحٍ لهم من غيرِ شائبةِ غرضٍ آخـرَ، ويعتقـدَ وجوبَ ذلـكَ علـيه من حُسنِ الرِّعايةِ والمعاملةِ كما أوجبَهُ لخاصَّتِه من أهلهِ وأولادِهِ؛ كي تحصلَ لهـم السَّعـادةُ بسببِهِ وتحصلَ لـهُ السَّعادةُ بسببِهم؛ لأنَّهم إذا وُفِّقوا للأخذِ بمحاسنِ أدبـهِ وازدادُوا بصيـرةً في حقِّهِ فقد استجمعُوا الحسناتِ وفـازُوا برفيعِ الدَّرجاتِ فكانوا مـنَ السُّعـداءِ بـه عليه السلام، وإذا قضى حقوقَهم وعَاملهم بأكرمِ الأخلاقِ فقد استحقَّ مِن اللهِ تعالى جزيلَ الثوابِ، وإنْ كانت السعادةُ حاصلةٌ في حقيقةِ الأمرِ من اللهِ تعالى(٥٥).

إنَّ مقابلةَ الإساءةِ بالإحسانِ والعفوَ عن الظالمِ خلقٌ رفيعٌ؛ فإنَّ السيِّئةَ الواقعةَ جزاءً

وإنْ لم تكُنْ عدوانًا حقًّا لكنَّها في ذاتها سيِّئةٌ وإنْ صارت حسنةً بالعَرَضِ فتركُها إلى العفوِ أولى، وهذا يحتاجُ إلى توفيقٍ، فحُسنُ الظنِّ في أقوالِ النَّاسِ وأفعالِهم والتكفُّلُ بالبرِّ والإحسانِ وغضُّ البصرِ عمَّا حرَّمَ الله تعالى والرِّفقُ والمدارةُ والتَّواضعُ وحبُّ الخيرِ للنَّاسِ واعتقادُهُ واجبًا كاعتقادِه للمقرَّبينَ؛ كلُّ هذا أفعالٌ حسنةٌ لا يتعاملُ بها إلَّا أصحابُ الدَّرجاتِ الرفيعةِ من المؤمنينَ بقيمِ الإسلامِ إيمانًا حقيقيًّا، فضلًا عن الدُّعاءِ لهم بالبصيرةِ والمعرفةِ والسَّعادةِ في الدُنيا والآخرةِ [٥٦].

وربَّما يُقَالُ: كيفَ يَسعَدُ الإمامُ عليه السلام بهم؟ والجوابُ على ذلك: ((لأنَّهم إذا عرفوا كونَهُ إمامًا واجبَ الطاعة تحرَّوا خدمتهُ فسعِدَ بهم في الدُّنيا ورُزِقوا شفاعتَهُ في الآخرةِ، فَسعِدَ بهم فيها برفعِ درجاتِهِ؛ لأنَّ درجةَ الشفاعةِ أعلى الدَّرجاتِ)) [٥٧].

إنَّ مسامحةَ النَّاسِ والعفوَ عنهم والإحسانَ إليهم يؤدِّي إلى كسبِ ودِّهم والسيطرةَ على كيانِهم فيخضعونَ لإرادةِ المتسامحِ المُحسنِ ولسلطانهِ الروحيِّ ويتأثَّرونَ بأخلاقهِ وإرشاداتِه؛ لأنَّ النَّفسَ الإنسانيَّةَ مجبولةٌ على حبِّ مَن أحسنَ إليها [٥٨]. ولكنَّ دعوةَ الإنسانِ لهذهِ الأمورِ الحسنةِ لن يُؤثِّرَ في الآخرينَ ما لم يقترنْ بالعملِ، فـ ((ما لم ينبعِ القولُ والعملُ من أعماقِ الوجودِ فلا قيمةَ لهُ، وإنَّما يكونُ الكلامُ معبِّرًا عن تماسكِ الشَّخصيَّةِ وثباتِها وأصالتِها فيما إذا كانَ ترجمانَ القلبِ ومُفصحَ أسرارِهِ، وكانَ يزخرُ بآياتِ الشَّرفِ والكمالِ. أمَّا إذا كانَ هناك تباينٌ وتضادٌّ بينَ الكلامِ والقلبِ فإنَّهُ يكونُ من آياتِ انفصامِ الشَّخصيَّةِ وعدمِ تماسكِها وعدمِ ثباتِها، ويكونُ لهُ أسوأَ الأثرِ وأمرَّ النتائجِ في حياةِ الإنسانِ)) [٥٩].

لقد دعا الإسلامُ إلى حُسنِ الخلقِ والرِّفقِ بالنَّاسِ وتجنُّبِ العنفِ في مواضعِ كثيرة من أجلِ تجاوزِ الأخطاءِ وبثِّ روحِ المحبَّةِ والتَّسامحِ في نفوسِ أفرادِ المجتمعِ، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّهُ قالَ: ((ما اصطحبَ اثنانِ إلَّا كانَ أعظمُهما أجرًا وأحبُّهما إلى الله عزَّ وجلَّ أرفقَهما بصاحبِهِ)) [٦٠]، وروي عن الإمام محمَّد الباقر عليه السلام أنَّهُ قال: ((إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ رفيقٌ يحبُّ الرفقَ ويُعطي على الرفقِ ما لا يعطي على العنفِ)) [٦١].

ودعا الإسلامُ إلى صلةِ الرَّحمِ وحُسنِ الجوارِ، فقد رويَ عن الإمام جعفر الصَّادقِ عليه السلام أنَّهُ قالَ: ((صلةُ الرحمِ وحُسنُ الجوارِ يَعمرانِ الديارِ ويزيدانِ في الأعمارِ)) [٦٢].

ففي التَّسامح ((كلُّ شيءٍ يُصبحُ مقبولًا جميلًا محتملًا... كلُّ شيءٍ سهلٌ، نحبُّ الحياةَ، نعيشُها باستمتاعٍ، نَجتهدُ، نُبدعُ، نُضيفُ، نتعاونُ، نُحبُّ الجارَ والزميلَ، بل نُحبُّ كلَّ الغرباءِ، يَستحيلُ كلُّ الناسِ إلى أصدقاءَ لنا، لا نخافُ النَّاسَ، بل نُصبحُ قادرينَ على رؤيةِ الجانبِ الطيِّبِ الخيِّرِ في كلِّ النَّاسِ، ونحاولُ أَنْ نستثمرَ هذا الجانبَ ونستخرجَهُ))(٦٣)، ولكنَّ الكراهيةَ تلوِّثُ كلَّ ما هو موجودٌ في الحياةِ وتحوِّلُ كلَّ شيءٍ إلى سوادٍ قاتمٍ، إذ ((إنَّ الكراهيةَ لتبدو دائمًا متهوِّرةً متعجِّلةً؛ فإنَّها في الحقيقةِ حكمٌ سريعٌ أو نظرةٌ سطحيَّةٌ عابرةٌ، ترفضُ التوقُّفَ عندَ ما يحملُهُ الآخَرُ من قيمٍ روحيَّةٍ. وأمَّا المحبَّةُ فإنَّها - على العكس - ضربٌ من التأنِّي والتباطؤ، أو هي توقُّفٌ طويلٌ عندَ الآخرِ من أجلِ فهمِه وتعمُّقِ ذاتيَّته. وعلى حينِ أنَّ المحبَّةَ تريدُ أنْ تقرأَ الباطنَ وتحاولُ دائمًا أَنْ تنفذَ دائمًا إلى الأعماقِ؛ نجدُ أَنَّ الكراهيةَ تقتصرُ على مجموعةٍ من القراءاتِ السطحيَّةِ أو التأويلاتِ الظاهريَّةِ لسلوكِ الآخَرِ. فالكراهيةُ صمَّاءُ لا تُريدُ أن تسمعَ متعجِّلةٌ لا تُريدُ أن تتوقَّفَ، وهي لهذا تحيا دائمًا في وحدةٍ باردةٍ لا تتردَّدُ فيها أصداءُ، وتجدُ نفسها باستمرارٍ في صحراءَ قفراءَ ليسَ فيها سوى الفراغِ والخلاءِ))(٦٤).

فعندما تُسامحُ النَّاسَ وتُساعدُهم ((تُصبحُ أكثرَ طهرًا منَ الآخرينَ، تُصبحُ أكثرَ حكمةً. أنتَ تعي وهُم لا يعُونَ، أنت تُريدُ المساعدةَ؛ لأنَّكَ وصلْتَ إلى المرحلةِ التي تسمحُ لكَ أنْ تُساعدَ، بينما هُم - الآخرون - ما يزالون قابعينَ وسطَ العتمةِ، وأنتَ تُريدُ أَنْ تكونَ الضَّوءَ الذي يُنيرُ دروبَهم))(٦٥).

إنَّ العطاءَ ((فعلٌ شموليٌّ لا استثناءات فيه، ولا يحقُّ لكَ استثناءَ جارِكَ في العطاءِ، لا امتيازات لأحدٍ تفوقُ امتيازاتِ أَحدٍ آخَرَ. كُنْ معطاءً بدونِ شروطٍ ودونِ استثناءاتٍ، هكذا تُصبحُ قوَّةً شفافيَّةً في هذا العالَمِ الذي يُعاني منَ البؤسِ... يعني أَنَّ العطاءَ هو شاملٌ لا يستثني جارَكَ أو عدوَّكَ، وكما تحبُّ نفسَكَ عليكَ أَنْ تُحبَّ النَّاسَ كلَّهُم...))(٦٦)، فالعطاءُ يحتاجُ إلى الحبِّ والتَّسامحِ؛ ((لأنَّكَ لن تستطيعَ أَنْ تُعطيَ بدونِ الحُبِّ، ولن تستطيعَ أَنْ تُحبَّ بدونِ التَّسامحِ...))(٦٧).

إنَّ إشاعةَ ثقافةِ التسامحِ والإحسانِ وحُسنِ الظنِّ مع الجيرانِ وغيرِهم ضرورةٌ أكيدةٌ لاستقرارِ المجتمعِ والتخلُّصِ من مشكلاتِه النفسيَّةِ والاجتماعيَّةِ؛ إذ ((إنَّ النظرةَ المتفائلةَ وحُسنَ

الظنِّ بالنَّاسِ يُعدُّ ضمانًا للطمأنينةِ لِمَنْ يعيشُ في ساحةِ الحياةِ الإنسانيَّة... إنَّ النظرةَ المتفائلةَ في الحياةِ كالنُّورِ في الظلماتِ تتَّسعُ في ظلالها آفاقُ التفكيرِ، وينمو في الإنسانِ حبُّ الإحسانِ، وبهذا يحصلُ للإنسانِ تطوُّرٌ في نظرتهِ إلى الحياةِ ورؤيتِهِ لها، فيكونُ للحياةِ في نظرِ هذا الإنسانِ لونٌ أجملُ وأحلى، فيرى جميعَ النَّاسِ في الضياءِ ويحكمُ عليهم أو لهم حكمًا جليًّا واضحًا، وتقلُّ ألوانُ آلامه وتتَّقدُ آمالُهُ، ويحفظُ علاقاتهِ الظاهريَّةَ والمعنويَّةَ والعاطفيَّةَ مع أفرادِ المجتمعِ على أحسنِ الوجوه. لا شيءَ في الحياةِ يُقلِّلُ من خضَمِ مشاكلِ الحياةِ كما تُقلِّلُها النظرةُ المتفائلةُ؛ فإنَّ الذي يتمتَّعُ بهذهِ الفضيلةِ الأخلاقيَّةِ لا ترتسمُ أنوارُ المسرةِ على مُحيَّاهُ في حالِ الرِّضا فقط، بل يُلائمُ نفسَهُ معَ المشاكلِ والأمورِ السلبيَّةِ في الحياةِ فيحلُّها برأيهِ الصائبِ وقوَّةِ الأملِ بكلِّ بساطةٍ، وتراهُ تشعُّ من روحهِ دائمًا أنوارُ الطمأنينةِ والاستقرارِ))(٦٨).

فالمُتسامحُ ((علاقاتُهُ بالآخرينَ من أغرابٍ وجيرانٍ وزملاءَ وأصدقاءَ وأقاربَ... علاقاتٌ تتَّسمُ بالبراءةِ والبساطةِ والتلقائيَّةِ والمباشرةِ والبُعدِ عن سوءِ الظنِّ وافتراضِ الخيرِ كأساسٍ لكلِ علاقةٍ إنسانيَّةٍ))(٦٩)، ولكنْ عندما لا نُسامحُ ((نحنُ في العادةِ نُعاملُ الآخرينَ على أنَّهم غرباءُ فحسب))(٧٠).

إنَّ إشاعةَ مشاعرِ الحبِّ والتسامحِ بينَ النَّاسِ من جيرانٍ وأقاربَ وأصدقاءَ يحلُّ لنا كثيرًا من المشكلاتِ التي نُعاني منها، وهو مبدأ ينبغي أنْ يسودَ بيننا؛ إذ ((إنَّ حبَّ الإنسانِ لأخيهِ الإنسانِ من أجلى عواطفِ الإنسانِ، بل نستطيعُ أنْ نعدَّهُ أصلًا لسائرِ الفضائلِ الأخلاقيَّةِ ومنبعًا لألطافها، وإنَّ الحبَّ قابلٌ للانتقالِ والشُّمولِ، وإنَّ خيرَ الطرقِ إلى شمولِ حبِّهم لنا لهو أنْ نُحبَّهم ونُقدِّمَ لهم عواطفَنا الطيِّبةَ بكلِّ سخاءٍ، وأنْ نعتقدَ أنَّ وظيفتَنا بالنِّسبةِ إلى أبناءِ نوعِنا ليسَ إلَّا أنْ نؤدِّيَ وظائفَ المحبَّةِ والودادِ. إنَّ بذلَ الودِّ للآخرينَ لهو خيرُ تجارةٍ رابحةٍ، فإنَّهُ لو بذلَ الإنسانُ بكرامتهِ للآخرينَ شيئًا من هذهِ الجوهرةِ الثمينةِ التي تكمنُ في قلبهِ لتلقَّى منهم من ذلكَ أضعافًا مضاعفةً. إنَّ مقاليدَ قلوبِ النَّاسِ بيدِ الإنسانِ نفسه، فالذي يريدُ الطريقَ إلى خزائنِ هذهِ الجواهرِ الثمينةِ يجبُ عليهِ أنْ يملأَ قلبَهُ من نورِ الصَّفاءِ والخلوصِ وينزِّههُ من الصِّفاتِ غيرِ المحمودةِ ثمَّ يهبُهُ لكلِّ مَنْ يتلقَّاهُ بحُسنِ القبولِ... إنَّ المحبَّةَ والعلاقةَ الرُّوحيَّةَ التي تنشأُ بينَ بني آدمَ لهي أساسُ التَّعاونِ والتعايشِ السلميِّ المستقرِّ))(٧١).

التسامح مع الأعداء أو الظلمة:

وكانَ من دعائه عليه السلام إذا اُعتُدِيَ عـليه أو رأى من الظـالمينَ ما لا يحبُّ: ((اللهُـمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآله وعوِّضْني من ظُلمه لي عَفْوَك، وأَبْدِلْني بسوءِ صنيعه بي رحمَتَك، فكلُّ مكروهٍ جَلَلٌ دونَ سخطِكَ، وكلُّ مَرْزِئَةٍ سواءٌ مع موجِدتك...))(٧٢).

أي: اعطني بدلَ ظلمه لي عفوَكَ عنّي، وأبدلْني بسوءِ صنيعه بي رحمتَك، ويمكنُ أنْ يكونَ المرادُ به طلبَ الرَّحمةِ والهدايةِ والتوبةِ للخصمِ، أي: أبدِلْ خصمي بدلَ سوءِ عمله بي رحمتَكَ، ولا استبعادَ في هذا التوجيه؛ لأنَّ كلَّ ظالمٍ في الحقيقةِ محسنٌ إلى مَنْ ظلمَهُ حيث إنَّهُ حصلَ للمظلومِ بسببِه الثوابُ، فحقَّ على العارفِ أن يجازيَهُ بالدُّعاءِ الحَسَنِ ويسترحمَ لهُ، وكلُّ مكروهٍ هيِّنٌ غيرُ سخطِك، وكلُّ مصيبةٍ هيِّنةٌ وسهلةٌ مع حصولِ غضبِكَ، فإنْ غفرْتَ لي ورحمْتَني لي فلا أبالي بالمصائبِ(٧٣).

إنَّ الظلمَ يؤثِّر في نفسيَّةِ المظلوم فيكونُ توَّاقًا إلى الانتقامِ تعويضًا عن الظلمِ الذي وقعَ عليهِ، ولكنَّ الإمامَ عليه السلام أكَّدَ في هذا المقطعِ على التعويض بأمرينِ هما أعظمُ أثرًا في نفسيَّةِ المظلومِ من الانتقامِ وهما: عفو الله عمَّا صدر من خطايا المظلوم، والتعويض برحمته بدلًا من الانتقام بسوء صنيع الظالم، فما يُعوِّضُ اللهُ عنهُ من العفو والرَّحمةِ جزاءٌ مضاعفٌ للكفِّ عن الانتقامِ والالتزام بالعفو(٧٤).

إنَّ طلبَ الرحمةِ الإلهيَّةِ والعفو الإلهيِّ بدلًا من الانتقام أمرٌ لا يوافقُ الطبعَ الإنسانيَّ في الأغلبِ، ولكنَّ العبدَ المؤمنَ المحبَّ لله تعالى راضٍ بذلك؛ لـ ((أنَّ الرِّضا ثمرةُ المحبَّةِ الكاملةِ، ومحبَّةُ العبدِ للربِّ إذا بلغَت حدَّ الكمال يمكنُ أنْ يُرجعَ إرادتَهُ على إرادة نفسه، بل يمكنُ أنْ لا يَرى لنفسه مُرادًا غيرَ مراده تعالى؛ لاستقرارِه في بحرِ المحبَّة، أو لأنَّ فعلَ المحبوبِ مثلَهُ محبوبٌ، أو لأنَّهُ لا يجدُ في نفسه ألمَ ما يكرهُهُ؛ لاستغراق قلبه في محبَّته تعالى وغفلته عن نفسه فضلًا عَنِ الأُمورِ الموافقة أو المخالفة لها، كما أنَّ المجاهدَ لتوغُّله في الجهاد قد لا يجدُ ألمَ الجراحِ. وبالجملة هو أمرٌ ممكنٌ إلَّا أنَّهُ صعبٌ نادرٌ))(٧٥). إنَّ حبَّ الإنسانِ لله جلَّ جلالُهُ ((يعني الاضطلاعَ برسالته في العالَمِ والعملَ على تحقيقِ مقصدِه الأسمى في دنيا النَّاسِ. وحين يُوثِّقُ الإنسانُ عُرى المحبَّةِ بينَهُ وبينَ غيرِه من الموجودات الأخرى فهنالكَ في وسعِه أنْ يتلاقى مع الله. ومثلُ هذا الإنسانِ هو وحدَهُ الذي يستطيعُ أنْ

يُقدِّم لله - في مقابلِ الحقيقةِ الإلهيَّةِ - حقيقيةً إنسانيَّةً بمعنى الكلمةِ... إنَّ محبَّةَ الإنسانِ ليستْ مجرَّدَ مناجاةٍ عقيمةٍ للذاتِ الإلهيَّةِ، بل هي فعلٌ مُثمرٌ في الحقلِ الإلهيِّ))(٧٦)، فلا أثرَ لدعاءٍ من دون عملٍ.

وقالَ عليه السلام في الدُّعاء نفسه: ((اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآله، ووفِّقْني لقبولِ ما قضيْتَ لي وعليَّ، ورضِّني بما أَخَذْتَ لي ومنِّي، واهدني للتي هي أَقومُ، واستعملْني بما هو أَسلَمُ، اللهمَّ وإنْ كانتِ الخِيَرةُ لي عندكَ في تأخيرِ الأخذِ لي وتركِ الانتقامِ ممَّنْ ظلمَني إلى يومِ الفصلِ ومَجمعِ الخَصمِ فصلِّ على محمدٍ وآلهِ، وأيِّدْني منكَ بنيَّةٍ صادقةٍ وصبرٍ دائمٍ، وأَعِذْني من سوءِ الرَّغبةِ وهَلعِ أهلِ الحرصِ، وصوِّرْ في قلبي مثالَ ما ادَّخرْتَ لي من ثوابِكَ، وأعددتَ لخَصْمي من جزائكَ وعقابِكَ، واجعلْ ذلكَ سبباً لقناعَتي بما قضيْتَ وثقتي بما تخيَّرْتَ، آمينَ ربَّ العالمين، إنَّك ذو الفضلِ العظيمِ، وأنْتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)) (٧٧).

إنَّ تركَ الانتقامِ يعني إسقاطَ العقوبةِ لِمَا ثَبتَ شرعًا أنَّهُ ظلمٌ والتنازلَ عنهُ وتأخيرَ ذلك إلى يومِ القيامةِ الذي يفصلُ اللهُ تعالى فيهِ الحكمَ بينَ الخلائقِ مُعتَقِداً أنَّ الخيرَ فيما اختارَهُ اللهُ تعالى، وهذا يحتاجُ إلى نيَّةٍ صادقةٍ وعزمٍ حسنٍ وصبرٍ دائمٍ على الكفِّ عن طلبِ حقِّ المظلومِ في الدُّنيا، وينبغي للإنسانِ في مثلِ هذهِ الحالِ أنْ يطلبَ من اللهِ سبحانَهُ إفاضةَ قوَّةٍ باطنيَّةٍ عليه يقوى بها على الامتناعِ عن قبيحِ الطَّلبِ وشدَّةِ الجزعِ والضَّجرِ، وأنْ يجعلَ صورةَ ما أعدَّهُ اللهُ تعالى لهُ وقتَ الحاجةِ إليه من الثوابِ والجزاءِ الحسنِ والصَّبرِ على المَظْلمةِ وتركِ أخذِ حقِّهِ لله جلَّ جلالُهُ من عقابٍ، وأنْ يُصيِّرَ ذلكَ سبباً لحصولِ رضاهُ بما قضاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ وقناعتِهِ بما حَكَمَ بهِ وثقتِهِ باختيارِهِ، وتصويرُ ثوابِ الآخرةِ للمؤمنِ الصابرِ - وإنْ كانَ الوعدُ الإلهيُّ صادقًا - يكونُ آكَدَ وأدعى للقناعةِ بقضاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ وإرادتهِ والثِّقةِ بما اختارَهُ لمصلحةٍ عُليا في علمهِ (٧٨).

فلابُدَّ منْ أنْ يكونَ القلبُ عازمًا على تركِ الانتقامِ ممَّنْ ظلمَهُ متجنِّبًا سوءَ الاعتقادِ في إبطالِ حقِّهِ وضياعهِ من دونِ الحصولِ على أجرٍ وثوابٍ في يومِ القيامةِ، إذ إنَّ القلبَ هو منشأُ الاضطراباتِ ومنبعُها ولا سيَّما إذا تعرَّضَ الإنسانُ إلى ظلمٍ، وإنَّما طلبَ الإمامُ عليه السلام ذلك؛ لأنَّ تحمُّلَ الظلمِ لأجلِ المثوباتِ الأُخرويَّةِ يفتقرُ إلى يقينٍ كاملٍ

وصبرٍ شاملٍ، ولذلك احتاجَ إلى حضورِ صورةِ ما أعدَّهُ اللهُ جلَّ جلالُهُ لهُ مِن ثوابٍ في وقتِ الحاجةِ إليه؛ حتّى يطمئنَّ قلبُ المظلومِ وتصيرَ نيّتُهُ صادقةً وصبرُهُ دائمًا، فلا يلتجئُ إلى أحدٍ سوى الله سبحانَهُ معتمدًا على ما اختارَهُ له، ولعلَّ في ذلك التَّأخيرِ صلاحُ الظَّالمِ وتوبتُهُ وتأدُّبُهُ وندمُهُ على ما فعلَ وغيرُ ذلك مِنَ المصالحِ الأُخرى(٧٩).

إنَّ الإيمانَ بيومِ القيامةِ يُخفِّفُ كثيرًا مِنْ مشاعرِ الإحباطِ والإحساسِ بالضَّياعِ عندَ المظلومينَ والمحرومينَ، فالإيمانُ باليومِ الآخرِ ((ينسجمُ مع تطلُّعات الإنسانِ لمَا وراءَ الحياة، وهذا الإيمانُ بالمطلقِ وبالثوابِ والنَّعيمِ يمنحُ الإنسانَ طاقةً روحيَّةً متساميةً، يحافظُ مِنْ خلالِها على سلامتهِ النفسيَّةِ واستقامتهِ السلوكيَّةِ، فلو أصابَهُ الحرمانُ وحالَ الواقعُ دونَ إشباعِ حاجاتهِ فإنَّ الإيمانَ سيُخفِّفُ من معاناةِ الحرمان... وقد دلَّت التجاربُ والدراساتُ العلميَّةُ الحديثةُ على دورِ الإيمانِ باللهِ وباليومِ الآخرِ في إصلاحِ الفسادِ الأخلاقيِّ والاجتماعيِّ...))(٨٠).

وهذا يتطلَّبُ أنْ يشعرَ الإنسانُ بالحبِّ للآخرينَ مهما كانوا ليعيشَ حياةً هادئةً مستقرَّةً تصنعُ منهُ إنسانًا إيجابيًا مؤثِّرًا؛ ((فالحبُّ يُحقِّقُ للإنسانِ إنسانيَّتَهُ الحقَّةَ يسمو به لِيُصبحَ أقربَ إلى السَّماءِ مِنَ الأرضِ ومِنَ النُّورِ إلى التُّراب. ولذلك نستطيعُ أَنْ نقولَ: إنَّ رحمةَ اللهِ التي ينشرُها على عبادهِ ومِنْ خلالِ عبادهِ تكونُ عن طريقِ المُحبِّينَ أو المهيَّأةِ قلوبُهم للحبِّ. وبذلك فإنَّ العالَمَ يُصبحُ وحدةً واحدةً مِنْ خلالِ عاطفةِ الحبِّ التي تجمعُ بين كلِّ قلبينِ مِنَ البشرِ، لولا الحبُّ لاحترقَ العالَمُ...))(٨١).

إنَّ غيابَ الحبِّ والتَّسامحِ يجعلُ صورةَ الحياةِ سوداءَ مظلمةً لا يستطيعُ أَنْ يعيشَ فيها الإنسانُ لحظةً واحدةً، فلا بدَّ مِنْ أنْ نُخفِّفَ مِنْ مشاعرِنا السلبيَّةِ تجاهَ الآخرينَ وإنْ صدرَ عنهم خطأٌ أو ظلمٌ لنا؛ لأنَّ فيهم شيئًا من نزعةِ الخيرِ، فالمُتسامحُ ((يحترمُ الذاتَ الإنسانيَّةَ، ينظرُ إلى البشرِ على أنَّهم ذواتٌ حرَّةٌ مستقلَّةٌ تحملُ نزوعًا للخيرِ يفوقُ نزوعَها للشرِّ، ولذلك فقدرتُهُ على التَّسامحِ عاليةٌ، لا يُنصِّبُ نفسَهُ قاضيًا أو جلّادًا، ولا يترفَّعُ أو يتعالى أو يتكبَّرُ؛ ولهذا فالتَّواضعُ مِنْ صميمِ صفاتهِ. المتكبِّرُ لا يستطيعُ أَنْ يُحبَّ والمغرورُ لا يستطيعُ أَنْ يُحبَّ... الإنسانُ المؤهَّلُ للحبِّ لا يتمادى في عداءٍ، ولا يلجأُ إلى العنفِ، ولا يخطِّطُ لإيذاءٍ، ولا يَسعدُ بمصيبةِ آخرَ، ويهبُّ عَنْ طواعيةٍ وطيبِ خاطرٍ لمساعدةِ مَنْ

يحتاجُهُ أو مَنْ يلجأُ إليه... ولذا فهو يَتَّسِمُ أَيضًا بالشَّجاعة؛ شجاعةٌ مصدرُها قوَّةٌ إيمانيَّةٌ إيمانُهُ بالله، ولهذا فهو يُحبُّ كلَّ مخلوقاتِ الله ويتعاطفُ معها ويحترمُها، ولذلك يهتمُّ بأَنْ يكونَ لهُ دورٌ إيجابيٌّ في الحياةِ، يرفضُ أَنْ يكونَ سلبيًا، ويرفضُ أَنْ يكونَ عاطلًا، ويرفضُ أَنْ يكونَ مُتجمِّدًا...))(٨٢).

فيا أيُّها الإنسانُ لا تنسَ أنَّكَ إنسانٌ، والإنسانُ بفطرتِه يحبُّ أَنْ يتعايشَ مع أخيه الإنسانِ، فلا تكُن وحشًا ضاريًا تأكلُ أخاكَ الإنسانَ وتُحرقُهُ، وكُنْ مصدرَ عطاءٍ وأملٍ للآخرينَ لتشعَّ قيمًا ومبادئَ، فيتعلَّمُ منكَ الآخرونَ دروسًا بليغةً في الحياة، فـ((إذا كانت شعلةُ حياتك مطْفَأةً فكيفَ ستُضيءُ على الآخرين، وكيفَ ستُشعلُ النَّارَ في مواقدِ الآخرينَ، يجبُ أَنْ تُشعلَ شعلتَكَ أوَّلًا، وبعدها تُنيرُ النارَ في مواقدِ الآخرينَ... إذا كُنْتَ مضيئًا وجذوةُ ناركَ مشتعلةً يمكنُكَ أَنْ تنشرَ الضَّوءَ والنُّورَ حولكَ وفي أماكنَ أبعدَ، إنَّما عليكَ أَنْ تكونَ مُضيئًا أوَّلًا... كيفما أَردْتَ العالمَ أَنْ يكونَ فما عليكَ إلَّا أَنْ تكونَ القدوةَ... اعْلَمْ أنَّكَ إذا أردْتَ تغييرَ العالمِ عليك أَنْ تُصلحَ ذاتَكَ أوَّلًا، عليكَ أَنْ تبدأَ بنفسكَ، ومِنْ ثَمَّ تتحوَّلُ نحوَ الآخرينَ لكسبِ قلوبِهم...))(٨٣). فالقدرةُ على الحبِّ تشكِّلُ جوهرَ الإنسانيَّة، ولا بُدَّ من سلوكِ طريقِ التعقُّلِ مِنْ أجلِ مستقبلِنا ومستقبلِ أجيالِنا ومِنْ أجلِ حياةٍ فُضلى يسودُها الاستقرارُ والاطمئنانُ.

التسامح مع المسيئين:

وكانَ من دعائه عليه السلام في مكارمِ الأخلاقِ ومرضيِّ الأفعال: ((اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِه وسدِّدْني لأنْ أُعارضَ مَنْ غشَّني بالنُّصحِ، وأَجزيَ مَنْ هجَرَني بالبرِّ، وأُثيبَ مَنْ حرَمني بالبذلِ، وأُكافيَ من قطَعني بالصِّلة، وأُخالفَ مَنِ اغتابَني إلى حُسنِ الذِّكرِ، وأَنْ أشكُرَ الحسنَةَ، وأُغضيَ عَنِ السيِّئة...))(٨٤).

يُعطي الإمامُ عليه السلام هنا درسًا بليغًا في مكارمِ الأخلاقِ، فيعلِّمُنا أَنْ ندعوَ الله تعالى لأَنْ يوفقَّنا ويُسدِّدَنا لأن نُعارضَ مَنْ غشَّنا ونصَبَ لنا أشراكَ المكرِ والخديعةِ بالنَّصيحةِ وحبِّ الخيرِ له لعلَّه يرجعُ إلى رشدِه، ونجازيَ مَن هجرَنا بالبرِّ الذي أقدرَتنا عليه فنكونَ ممَّنْ قابلَ الإساءةَ بالإحسانِ، ونُثيبَ مَن حرمَنا بالبذلِ والعطاءِ ممَّا أسبغْتَ علينا مِنْ نعمِكَ ليعْلَمَ أنَّكَ الوهَّابُ الكريمُ، ونُكافئَ مَنْ قطعَنا بالصِّلةِ والرَّحمةِ

والعطفِ، ونُخالفَ مَنِ اغتابنا ورامَ هَتْكَ ما سَتَرْتَهُ علينا مِنَ العيوبِ إلى حُسنِ الذِّكرِ والثناءِ عليهِ ووصفِ محاسنه لعلَّهُ يرجعُ مِنْ عظيمِ ذنوبِهِ ويتوبُ، وأنْ نعرفَ الحسنةَ ونشكرَها وإنْ قلَّتْ، ونُغضي عَنِ السيِّئةِ ونتجاوزَ عنها وإن جلَّتْ، وهذا يحتاجُ إلى توفيقٍ إلهيٍّ عظيمٍ؛ إذ إنَّ الاستعدادَ لمقابلةِ الإساءةِ بالإحسانِ وإبدالَ الانتقامِ بالإنعامِ هو أشرفُ مكارمِ الأخلاقِ على الإطلاقِ (٨٥).

إنَّ هذا المقطعَ البليغَ من دعاءِ الإمامِ زينِ العابدينَ عليه السلام ((يسردُ مِنْ مكارمِ الأخلاقِ ما يَقتضي المعارضَةَ بالأفضلِ والأحسنِ لا التَّعاملَ بالمثلِ، حيثُ إنَّ المعارضَةَ بالمثلِ ليس مِنْ مكارمِ الأخلاقِ، فيجبُ تجنُّبُها لِمَنْ يَسيرُ في مسالكِ الكمالِ... وهذهِ الأخلاقُ الفاضلةُ تكشفُ عَنْ تقدُّمِ السالكِ في درجاتِ الكمالِ، حيثُ يتجرَّدُ فيها عن الصفاتِ التي تعمُّ البشرَ، ويسمو نحوَ صفاتِ الإنسانِ الكاملِ المطلوبِ في السيرِ التكامليِّ)) (٨٦).

وقد وردَ النهيُّ الشديدُ عن الهجرانِ والتَّقاطعِ في الرواياتِ، فقد رويَ عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله أنَّهُ قالَ: ((أيُّما مُسلمَيْنِ تهاجرا فمكثا ثلاثًا لا يصطلحلان إلَّا كانا خارجينِ من الإسلامِ ولم يكُنْ بينهما ولايةٌ، فأيُّهما أَسبقُ إلى كلامِ أخيهِ كانَ السَّابقَ إلى الجنَّةِ يومَ الحسابِ)) (٨٧). وروي عن أبي بصيرٍ عن أبي عبدِ اللهِ الصَّادقِ عليه السلام: ((لا يزالُ إبليسُ فرحًا ما اهتجرَ المُسلمانِ، فإذا التقيا اصطكَّت ركبتاهُ وتخلَّعت أوصالُهُ، ونادى: يا ويلَهُ، ما لَقيَ مِنَ الثُّبورِ))(٨٨).

فليسَ مِن أخلاقِ المؤمنِ القطيعةُ والحقدُ والضَّغينةُ، ولْنَسْتَمعْ إلى ما قالَهُ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله في خيرِ الأخلاقِ، فقد روي عنه أنَّهُ قالَ: ((ألا أدلُّكم على خيرِ أخلاقِ الدُّنيا والآخرةِ؟ تَصِلُ مَنْ قطعَكَ وتُعطي مَنْ حَرمَكَ وتعفو عمَّنْ ظلمَكَ))(٨٩). وروي عن الإمامِ عليِّ بن الحُسينِ عليه السلام أنَّهُ قالَ: ((إذا كانَ يومُ القيامةِ جمعَ اللهُ تباركَ وتعالى الأوَّلينَ والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ، ثُمَّ يُنادي منادٍ: أينَ أهلُ الفضلِ؟ قالَ: فيقومُ عُنُقٌ من النَّاسِ فتلقَّاهُمُ الملائكةُ فيقولونَ: وما كانَ فضلُكم؟ فيقولونَ: كُنَّا نَصلُ مَنْ قطعَنا ونُعطي مَنْ حرمَنا ونَعفو عمَّنْ ظلمَنا، قالَ: فيُقالُ لهم: صدَقْتُم ادخلوا الجنَّةَ))(٩٠).

ورويَ عن عليِّ بنِ الحكمِ عن عبدِ اللهِ بنِ سنانٍ قالَ: قُلْتُ لأبي عبدِ اللهِ الصَّادقِ عليه السلام: ((إنَّ لي ابنَ عمٍّ أصلُهُ فيقطعُني وأصلُهُ فيقطعُني حتَّى لقد هممْتُ

لقطيعته إيَّاي أنْ أقطعه، أتأذنُ لي قطعه؟ قالَ [عليه السلام]: إنَّكَ إذا وصلْتَهُ وقطعَكَ وصلَكما اللهُ عزَّ وجلَّ جميعًا، وإنْ قطعْتَهُ وقطعَكَ قطعَكَما اللهُ))(٩١).

إنَّ الإنسانَ المؤمنَ الواعيَ المعطاءَ المُحِبَّ للخير لا يُحبُّ بشروط، إذ ((يجبُ على الإنسانِ أنْ يحبَّ بلا شروط))(٩٢)، وهذا هو العطاءُ الحقيقيُّ، فـ ((ما أروعَ العطاء حينَ تعلمونَ أنَّ عطاءَكم لا يعني أبدًا أنَّ أحدًا أخذَ شيئًا منكم... العطاءُ يعني أساسًا أن تتقبَّلَ النَّاسَ الذينَ لا إرادةَ لهم))(٩٣)، والإنسانُ الحقيقيُّ المؤهَّلُ للحُبِّ ((هو إنسانٌ كريمٌ سخيٌّ معطاءٌ سعادتُه الحقيقيَّةُ في العطاءِ))(٩٤).

وهذه الرؤيةُ المنسجمةُ معَ روحِ الدِّينِ وقيمِه السَّاميةِ يُجسِّدُها الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام في الدُّعاء الذي تقدَّمَ ذكرُهُ، ويؤكِّدُها في حديثٍ مرويٍّ عنهُ قالَ فيه: ((افعلِ الخيرَ إلى كلِّ مَنْ طلبَهُ منك، فإنْ كانَ أهلَهُ فقد أصبْتَ موضعَهُ، وإنْ لم يكنْ بأهلٍ كنتَ أنتَ أهْلَهُ، وإنْ شتمَكَ رجلٌ عن يمينِكَ ثمَّ تحوَّلَ عن يسارِكَ واعتذرَ إليكَ فاقبلْ عُذرَهُ))(٩٥).

هذه هي مدرسةُ الإسلامِ العظيمةِ التي تُربِّينا على التجاوزِ عن أخطاءِ الآخرينَ والعفوِ عنهم وعدمِ مقابلتها بالمِثْلِ لينعمَ المجتمعُ بحياةٍ سعيدةٍ خاليةٍ مِنَ المشكلاتِ والنِّزاعاتِ والاضطراباتِ؛ إذ ((إنَّنا يجبُ علينا أنْ لا ندعَ الآمالَ الدَّنيئةَ والشهواتِ السافلةَ التي تُبدِّلُ حلاوةَ العيشِ إلى مرارةِ الحنظلِ تُوجدُ أمامَ تكاملِنا سدًّا مانعًا، بل يجبُ علينا أنْ نوجِّهَ أفكارَنا إلى الأهدافِ السامية، ونأملُ الاتِّصافَ بالصِّفاتِ والمزايا الإنسانيَّةِ العالية. فإنَّ الآمالَ اللائقةَ في سبيلِ توجُّهِ الأفكارِ الوجهةَ الصَّحيحةَ ستبلغُ بالإنسانِ يومًا ما إلى أهدافه الخيِّرةِ الحميدة...))(٩٦).

فالحياةُ الإنسانيَّةُ ((لا يمكنُ أنْ تنموَ وتزدهرَ في محيطٍ قَفْرٍ مِنَ الوحدةِ ومناجاةِ الذاتِ، بل هي في حاجةٍ دائمًا إلى التفتُّحِ والإشراقِ في جوٍّ دافئٍ مِنَ المحبَّةِ والتبادلِ والإخاء... لا بُدَّ للإنسانِ مِنْ أنْ يشعرَ في وقتٍ ما بأنَّ وجودَهُ هو في صميمه علاقةٌ واتِّصالٌ وحوارٌ مستمرٌّ))(٩٧).

إنَّ وجودَ مجتمعٍ خالٍ من العيوبِ والأخطاءِ هو ضربٌ مِنَ الخيالِ، فلا بدَّ مِنْ أنْ تفهمَ

العالَمَ الذي تعيشُ فيه، فهو ليسَ عالَمَ ملائكة، إذ ((لا ينبغي للإنسانِ أنْ يغفلَ عن أنَّهُ لا يخلو أحدٌ في هذا العالمِ من عيوبٍ ونقائص، وأنَّ أولئكَ الذين يتَّصفونَ بالتَّوازنِ والاعتدالِ الطبيعيِّ والأخلاقيِّ الكاملِ قليلون جداً، وأنَّ أسمى الشخصيَّات أيضًا لا يخلو عَنْ خطأٍ ما. ولذلك فيجبُ على كلِّ شخصٍ أنْ يتحمَّلَ قسطًا من الأمورِ التي لم يكُنْ يتوقَّعْها فيعفو عَنْ أخطاءِ أبناءِ نوعِه، فإنَّ السلامَ الدَّائمَ والوطيدَ لا يحصلُ إلَّا مِنْ طريقِ التَّصالحِ في كثيرٍ من الموارد... إنَّ العفوَ والإغماضَ سيؤثِّرُ في عواطفِ العدوِّ بصورةٍ قاطعة؛ ممَّا يُغيِّرُ مِنْ فكرِه وعملِه بتحوُّلٍ عاطفيٍّ سريعٍ، فكم مِنَ العلاقاتِ المتوتِّرةِ قد تحسَّنت في ظلِّ الصَّفْحِ، وكم من الحِقْدِ والبغضاءِ والعداءِ العميقِ المتأصِّلِ تبدَّلَ إلى صفاءٍ وإخلاصٍ))[٩٨].

فلا تشتتك كثيرًا من الواقع، بل حاولْ أن تفهمَهُ وتُؤدِّيَ مسؤوليتَكَ، فـ((كلُّ ما هو مرفوضٌ يخلقُ توتُّرًا. إذا أردْتَ الاسترخاءَ فما عليكَ إلَّا أنْ تتقبَّلَ كلَّ ما يحدثُ حولَكَ))[٩٩]، وهذا لا يعني الاستسلامَ لما هو موجودٌ مِنْ سلبيَّات، بل يعني عدمَ مقابلتها بالمثلِ، فالإنسانُ المؤمنُ لا يُقلِّدُ غيرَ الملتزمين؛ لأنَّهُ يلتزمُ بأوامرِ الله تعالى وإنْ كانَ فيها ما يُخالفُ هواهُ، فقد روي أنَّ رجلًا جاءَ إلى الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام فشكا أقاربَهُ، فقالَ له عليه السلام: ((اكظمْ غيظَكَ وافعلْ، فقال: إنَّهم يفعلونَ ويفعلونَ. فقالَ [عليه السلام]: أتُريدُ أنْ تكونَ مثلَهم فلا ينظرُ اللهُ إليكم)) [١٠٠].

فهذه الأفعالُ -على الرَّغمِ من رفضِ أغلبِ النَّاسِ لها- يؤدِّيها المؤمنُ التزامًا بالأوامرِ الإلهيَّة وإيمانًا بالحكمة الربَّانيَّة، ((والإنسانُ بانتسابه إلى العقيدةِ الربَّانيَّة يرى نفسَهُ مرتبطًا بالمطلقِ العظيمِ الحكيمِ المُهيمنِ، وهذه الرُّؤيةُ تجعلُهُ مرتبطًا بغايةٍ وهدف، فلا عبثَ ولا لهوَ، بل تكونُ جميعُ أفكارِه وعواطفه وإرادته متَّجهةً نحو المطلق، ويستتبعُها سلوكُهُ في نفسِ الاتِّجاه، فيبتعدُ الإنسانُ عَنِ التخبُّطِ والتغيُّرِ السَّلبيِّ والمزاجيَّة والتمزُّقِ والصِّراعِ النَّفسيِّ، ويستقيمُ على منهجٍ واحدٍ في عقيدتِه وعواطفِه وسلوكِه))[١٠١].

التسامح مع الأموات:

وكانَ من دعائه عليه السلام في طلبِ العفوِ والرَّحمة: ((اللهُمَّ وأيُّما عبدٍ نالَ منِّي ما حظرْتَ عليه، وانتهكَ منِّي ما حجَرْتَ عليه، فمضى بظُلامتي ميّتًا، أو حصلَتْ لي قبلَهُ حيًا فاغفرْ لَهُ ما ألمَّ بهِ منِّي، واعْفُ لهُ عمَّا أدبرَ بهِ عنِّي، ولا تَقِفْهُ على ما ارتكبَ فيَّ، ولا تكشفْهُ عمَّا

اكتسبَ بي، واجعَلْ ما سمحْتُ به مِنَ العفو عنهم، وتبرَّعْتُ به مِنَ الصَّدقةِ عليهم أزكى صدقاتِ المتصدِّقينَ، وأعلى صلاتِ المُتقرِّبينَ، وعوِّضْني مِن عَفْوي عنهم عفْوَك، ومِن دُعائي لهم رحمتَك؛ حتَّى يسعَدَ كلُّ واحدٍ منَّا بفضلِك، وينجوَ كلٌّ منَّا بمَنِّكَ...))[١٠٢].

فإذا انتهكَ الحرمةَ أحدٌ وتجاوزَ الحدودَ الشرعيةَ فظلَمني ثُمَّ ماتَ وقد ثبتت لي ظُلامتي عنده حالَ كونه حيًّا؛ فاغفرْ لهُ ما أقامَهُ عليَّ من الظُّلمِ والتجاوزِ والإساءةِ وما نزلَ بي من بلاءٍ أو حرمانٍ بسبب ظُلامتي، واعْفُ له ما ذهبَ به مِن حقِّي، ولا تُطلعْهُ على ما ارتكبَ فيَّ، ولا تُقبِّحْ عليه فعلَهُ ولا تفضَحْهُ عمَّا سبَّبَ لي مِنْ ظلمٍ أو أذى، فقد سامحْتُهُ على ما مضى مِن غيرِ سؤالٍ منِّي، وفي ذلك دلالةٌ على نهايةِ الصفحِ والعفوِ والتسامحِ، فقد سامحْتُهُ وعفوْتُ عنه ولسْتُ طالبًا عوضًا عمَّا فعلَهُ بي إلَّا منك، واجعلْ ما سمحْتُ به مِن العفوِ عنه مع علمي بأنَّكَ المنتقمُ مِن الظالمينَ وتبرَّعْتُ به مِن الصَّدقةِ عليهم - وأنْتَ الذي لا يضيعُ لديه أجرُ المحسنينَ - أزكى صدقاتِ المتصدِّقينَ بتقبُّلكَ منِّي وأعلى صلاتِ المتقرِّبينَ بإذهابِ الرِّيبِ عنِّي حتَّى يكونَ عملي خالصًا لوجهِك الكريمِ، واجعلْ عفوَك عنِّي عوضًا مِن عفْوي عنهم، ورحمتَك بي عوضًا مِنْ دعائي لهم بالغفرانِ والعفوِ والسِّترِ؛ حتَّى نصلَ إلى السعادةِ جميعًا، فأسعدُ أنا بفضلِك الذي عوَّضتني إيَّاهُ عَنْ عفوي عنه، ويسعدُ هو بفضلِك الذي لولا عفوي عنه لعاقبتَهُ، فقد تفضَّلْتَ عليَّ بالعفوِ عنه وتفضَّلْتَ عليه بعفوي عنهُ وقبلْتَ عفوي[١٠٣].

فالإنسانُ المؤمنُ المتسامحُ لا يريدُ أنْ يرى أحدًا يتألَّمُ بسببِه وإنْ وقعَ عليه ظلمٌ أو تجاوزٌ، فهذا المنظرُ لا يحتملُ رؤيتَه؛ لـ ((أنَّ آلامَ الآخرينَ هي التي تستثيرُ لدى الذَّاتِ رغبةً حادَّةً في تمزيقِ غشاءِ فرديَّتِها، فلا تلبثُ الذَّاتُ أنْ تتذوَّقَ طعمَ الحبِّ لأوَّلِ مرَّةٍ في اللحظةِ التي تتَّجهُ فيها نحوَ الآخرِ لكي تُحسنَ إليه أو تحنوَ إليه أو تَمسحَ دموعَهُ))[١٠٤]. وهذا يزيدُ الإنسانَ عزًّا ومنزلةً عظيمةً عند الله تعالى، يقول الإمامُ محمَّدُ الباقر عليه السلام: ((ثلاثٌ لا يزيدُ اللهُ بهنَّ المرءَ المسلمَ إلَّا عزًّا: الصَّفْحُ عمَّنْ ظلمَه، وإعطاءُ مَنْ حرَمَهُ، والصِّلةُ لِمَنْ قطعَهُ))[١٠٥].

فعندما يموتُ شخصٌ لا نحبُّهُ أو كانَ سببًا في حصولِ الألمِ والمعاناة لنا يتولَّدُ لدى بعضنا فيضٌ من مشاعرِ الفرحِ والرَّاحةِ بسببِ تخلُّصنا منه، ويتناسى بعضُنا أنَّ هناكَ خالقًا عالمًا بكلِّ ما جرى علينا وهو مَنْ يأخذُ حقوقنا كلَّها ويعوِّضُنا في يومِ القيامةِ، ولكنَّ أولياءَ

الله الصالحينَ أصحابَ اليقينِ الحقيقيّ يتألَّمونَ لفقدانِ هؤلاء بسببِ عدمِ توبتِهم وندمِهم؛ لأنَّهم يملكونَ قلبًا كبيرًا يفيضُ بالحبِّ والحنان، متمنّينَ حصولَ الهدايةِ لكلِّ البشريَّة. فـ((الحبُّ إحساس داخليٌّ، الحبُّ فهمُ الأعماق، لذا فإنْ أحببْتَ إنسانًا فأنت تفعلُ ذلك تاركًا لهُ أو لها حريَّةَ اختيارِ كيفَ هو يريدُ أنْ يكونَ دونَ أنْ تتوقَّهَ شيئًا آخرَ... حينَ ينبضُ هكذا حبٌّ تتولَّدُ طاقةٌ رائعةٌ، حينَ يفيضُ الحبُّ دونَ دوافعَ نتمكّنُ من المساعدةِ، المساعدة التي لا مثيلَ لها...))(١٠٦).

إنَّ مَنْ يريدُ أنْ يعفوَ اللهُ عنهُ عليه أنْ يعفوَ عَنِ النَّاسِ، ((فإنَّ طلبَ العفوِ مِنَ اللهِ مع عدمِ العفوِ عنِ النَّاسِ يكشفُ عن تحكُّمِ الأسبابِ الثلاثةِ من الشهوةِ والحرصِ والأذى في نفسِ الدَّاعي، فلا يكونُ موجبًا للعَفْوِ عنهُ ما دامَ مُتلبِّسًا بها... وبعدَ عَفْوِ الدَّاعي عَن حقوقهِ المشروعة فإنَّهُ لا يَبقى موضوعٌ لهذه الآثامِ، فلا يستحقُّ مَن ارتكبها عقابًا بسببِ عفوِ صاحب الحقِّ، ثُمَّ عقَّبَ الداعي العفوَ عنهم بالدُّعاءِ لهم بأن يكونَ العفوُ صدقةً زكيَّةً تكونُ صلةَ المتقرِّبينَ إلى الله سبحانَهُ، وبذلك يكونُ الدَّاعي مُستحقًا لرحمةِ الله سبحانه... وبالنتيجة يكونُ العفوُ عَنِ النَّاسِ سببًا لسعادةِ النَّاسِ المَعْفُوِّ عنهم وأيضًا سببًا لسعادةِ الدَّاعي الذي عفى عنهم، فتعمُّ السعادةُ والنَّجاةُ الجميعَ بفضلِه تعالى))(١٠٧).

إنَّ الإنسانَ المتحرِّرَ من سجنِ هوى النَّفسِ وقيودِ المصالحِ الشخصيَّةِ يفيضُ قلبُهُ بالحبِّ والحنانِ على جميعِ البشريَّةِ، ولكنَّ الإنسانَ المسجونَ في حبِّ ذاتِه فحسب المقيَّدَ برغباته ومصالحه الشخصيَّة لا يستطيعُ أنْ يُحبَّ الآخرينَ ويتسامحَ معهم، وسيكونُ ذلك أمرًا عسيرًا عليه؛ ((لأنَّهُ يتطلَّبُ ثمنًا فادحًا ندفعُهُ بتنازلنا عن أنانيَّتنا، وحبِّنا لذاتنا، وبحثِنا عَنْ مصالحنا))(١٠٨).

إنَّ التَّسامحَ هو الطريقُ إلى الله تعالى، ويعلِّمُنا أنَّ السَّعادةَ تتجلَّى بالحبِّ الذي ينبغي أنْ يسودَ المجتمعَ في كلِّ تعاملاته، فالتسامحُ ينقِّي الهواءَ ويُطهِّرُ القلبَ والرَّوحَ ويجعلنا على صلةٍ بكلِّ شيءٍ مقدَّسٍ، ففيه نجدُ أنفسنا مرتبطين بما هو أكبر من عقولنا المحدودةِ وممَّا هو وراء تصرُّفاتنا السَّريعةِ، نجدُ أنفسنا مرتبطين بالله تعالى الذي يحبُّ جميعَ عبادِه ويعطفُ عليهم، إنَّهُ يجعلُنا نستشعرُ الأمنَ مع غموضِ الحياةِ وتعقيداتِها، ويهيِّئُ لنا فرصةً أنْ نؤدِّيَ ما

خُلقْنا مِن أجلِه في هذه الحياة، فترى نورَ اللهِ في كلِّ مَنْ حولكَ بصرفِ النَّظرِ عَن طباعِهم وتصرُفاتِهم، فنتعلَّم من الله تعالى كيفَ نتجاوزُ عن أخطاءِ الآخرين من دون تأجيلٍ ليعمَّ السَّلامُ العالَمَ، فنشعرُ أنَّنا ملكٌ لله جلَّ جلالُهُ لا نتصرَّفُ إلَّا بما يرضيه.

الخاتمة:

والآنَ آنَ للقلمِ أنْ يتوقَّفَ بعدَ أنْ عشنا تلكَ اللَّحظاتِ الرُّوحيَّةَ الإيمانيَّةَ الممتعةَ في واحةِ الدُّعاءِ الطيِّبةِ الخضراءِ التي نستمدُّها من شُعاعِ شمسٍ من شموسِ الإمامةِ السَّاطعةِ، ونقتطفُ ثمارَها من تلكَ الشَّجرةِ النبويَّةِ المباركةِ الطيِّبةِ ونحنُ نتنفَّسُ بهدوءٍ وطمأنينةٍ؛ هذا ما يشعرُ به كلُّ باحثٍ عندما ينطلقُ معَ ربِّه في مناجاةٍ شاعريَّةٍ عذبةٍ واقفةٍ بينَ الخوفِ والرَّجاءِ واثقةٍ بعفوِ اللهِ ورحمتِه، فكانَت أدعيةُ الصَّحيفةِ السجَّاديَّةِ مدرسةً خالدةً لكلِّ المؤمنينَ العارفينَ الذينَ يتشوَّقونَ لأنْ يكونُوا عبادًا حقيقيِّينَ لله جلَّ جلالُهُ وهم يرفضونَ العبوديَّةَ لغيرِ اللهِ جلَّ جلالُهُ في سلوكِهم، ولو سارَ الإنسانُ على خُطى هذه المدرسةِ وتعلَّمَ منها العقيدةَ الحقَّةَ والشَّريعةَ الرحبَةَ والأخلاقَ الصَّافيةَ والتَّربيةَ السليمةَ لوصلَ إلى طريقِ السَّعادةِ والكرامةِ، وتحوَّلَ من إنسانٍ منهارٍ معقَّدٍ ضعيفِ الإرادةِ إلى إنسانٍ متميِّزٍ بطاقةٍ روحيَّةٍ هائلةٍ وفكريَّةٍ عاليةٍ أقوى إرادةً مِنْ غيرِه وأكثرَ قدرةً على صُنعِ حياةٍ مُنتظمةٍ بعيدةٍ عَن المشكلاتِ الأخلاقيَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والسياسيَّةِ.

فبعدَ هذه الرحلةِ المُمتعةِ مع التُّراثِ الإسلاميِّ العلويِّ الأصيلِ يجبُ بيانُ ما وصلَ إليهِ البحثُ من نتائجَ، ولا شكَّ في أنَّ محاولةَ رصدِ جميعِ النَّتائجِ التي كشفَ البحثُ عنها ووصلَ إليها أمرٌ يحتاجُ إلى تحليلٍ طويلٍ ووقفةٍ عميقةٍ، ولذلكَ وجبَ الاقتصارُ على أبرزِ النتائجِ التي توصلْتُ إليها، وهي:

١- التَّسامحُ هو التساهلُ والليونةُ في التعاملِ مع الآخرِ ورفضُ الصُّعوبةِ والشدَّةِ، وهو بذلُ ما لا يجبُ تفضُّلًا، وهذا يعني أنَّك تعرَّضْتَ لظُلمٍ أو تجاوزٍ، ولكنَّكَ رفضْتَ أخْذَ حقِّكَ، وتجاوزْتَ كلَّ الحواجزِ النفسيَّةِ، فبذلْتَ ما لا يجبُ منكَ إيمانًا بمبدأ التسامحِ، والتَّسامحُ يُخمدُ معاركَنا الداخليَّةَ، ويُشعرُنا بالترابطِ القويِّ بينَ أفرادِ المجتمعِ، فمَنْ قرَّرَ السَّماحَ فقد حرَّرَ نفسَهُ من قيودِ النفسِ الأمَّارةِ

بالسوءِ وأصغى لصوتِ العقلِ، ومَنْ قرَّرَ عدمَ السَّماحِ فقد كبَّلَ نفسَهُ واستمرَّ في معاناتِهِ.

٢- الاستعدادُ للتسامحِ هو أنْ ننسى الماضيَ الأليمَ بكلِّ إرادتِنا واختيارِنا، وأنْ نرفضَ الكرهَ والحقدَ والأنانيَّةَ، وأنْ نتخلَّى عَنْ رغبتِنا في إيذاءِ الآخرينَ والانتقامِ منهم بسببِ موقفٍ حدثَ في الماضي، فعندما نُسامحُ تلتئمُ جراحُ الماضي وتنمو قيمُ المحبَّةِ، وبالتَّسامحِ تَتغيَّرُ أفكارُنا الخاطئةُ وتتلاشى ذكرياتُ الماضي الأليمةُ، وهذا يحتاجُ إلى وعيٍ وتأمُّلٍ وتفكيرٍ سليمٍ.

٣- التَّسامحُ ضرورةٌ حياتيَّةٌ اجتماعيَّةٌ، إذ لا شكَّ في أنَّ الإنسانَ لا يستطيعُ أنْ يعتزلَ المجتمعَ ويقطعَ حبالَ روابطِهِ مع أبناءِ نوعِهِ وينزويَ عَنِ النَّاسِ، ومِن وظائفِنا الأساسيَّةِ في عالمِ المعاشرةِ أنْ نتَّصفَ بصفةِ العفوِ والإغماضِ عَنْ أخطاءِ الآخرينَ، فضلًا عَنْ أنَّ الروابطَ الإنسانيَّةَ نفسَها تقتضي ذلك، وأنَّ أحسنَ الطُّرقِ للتعايشِ السلميِّ أنْ يُسالمَ الإنسانُ الآخرينَ من أبناءِ نوعِهِ.

٤- دعا الإسلامُ إلى التَّسامحِ، فالمنظومةُ الأخلاقيَّةُ والسلوكيَّةُ التي شرَّعها الدينُ الإسلاميُّ من مثلِ الرفقِ والإيثارِ والعفوِ والإحسانِ والمداراةِ والقولِ الحسنِ والألفةِ والأمانةِ وحثِّ المؤمنينَ على الالتزامِ بها وجعلِها شخصيَّتهم الخاصَّةَ والعامَّةَ كلِّها تقتضي الالتزامَ بمضمونِ مبدأ التَّسامحِ.

٥- التَّسامحُ هو القدرةُ على تجاوزِ أخطاءِ الماضي، ويكونُ ذلكَ مِن منطلقِ القوَّةِ لا الضعفِ، وهدفُ المتسامحِ هو إسعادُ الآخرينَ وإدخالُ السُّرورِ على قلوبِهم، وليسَ القصدُ من ذلكَ المصلحةَ الشخصيَّةَ، فمشاركتُنا الآخرينَ آلامَهم أو مسرَّاتِهم لا تعني تخفيفَ ألمٍ عنَّا أو جلبَ منفعةٍ لنا، بل كلُّ ذلكَ إيمانًا بالقاعدةِ الخلقيَّةِ التي يُشرِّعُها العقلُ وامتثالًا لأمرِ اللهِ تعالى دونَ انتظارٍ لِما يترتَّبُ عليهِ مِنْ آثارٍ.

٦- إنَّ أدعيةَ الصحيفةِ السجَّاديَّةِ اتَّجهت إلى الانفتاحِ على الحياةِ بكلِّ ما فيها من أحداثٍ وأوضاعٍ وهمومٍ ومشاكلَ وقضايا تتَّصلُ بحياةِ النَّاسِ، فكانت مدرسةً

تربطُ الإنسانَ بالحياةِ وتربطُ الحياةَ باللهِ تعالى، ولم تُرِدْ للإنسانِ أن ينهزمَ وينعزلَ عن وجوده في عمليَّةِ هروبٍ سلبيٍّ بحجَّةِ الانقطاعِ إلى الله تعالى والابتعاد عن المادَّة، بل أرادت لهُ أَنْ يجعلَ مِنْ صلتهِ باللهِ سبحانَهُ حافزًا إيجابيًّا يدفعُهُ إلى العملِ الصَّالحِ.

٧- إنَّ تسامحَ الأولادِ مع الوالدينِ لا يمثِّلُ إلَّا شيئًا يسيرًا ممَّا قدَّماه، وهو خلقٌ رفيعٌ ينبغي أَنْ يسودَ في ثقافةِ الأبناء وإنْ قصَّرا في تربيتِهم ورعايتِهم على الوجه الذي ينبغي؛ فيجبُ على الأولاد هبةُ هذه الحقوقِ بأكملها؛ لأنَّ الوالدينِ أوجبُ حقًا وأقدمُ إحسانًا وأعظمُ عطاءً، فالعطاءُ الذي بذلَهُ الوالدانِ من أجلنا يُفصحُ عَنْ حجمِ الحُبِّ الذي يكنُّونَهُ لنا في الوجدانِ، وحبُّهُمْ لنا حبٌّ غيرُ مشروطٍ يقومُ على العطاءِ أكثرَ ممَّا يقومُ على الأخذِ، فلا يصحُّ أَنْ نؤاخذَهما على خطأٍ ارتكباهُ معنا مِنَ دونِ قصدٍ غافلينَ عن كلِّ ما قدَّماهُ مِنْ أجلِنا، بل ينبغي أَنْ نُضحِّيَ بأوقاتِنا وأموالِنا مِنْ أجلِ سعادتِهما واستقرارِهما.

٨- إنَّ حُسنَ الظنِّ في أقوالِ النَّاسِ وأفعالِهم والتكفُّلَ بالبرِّ والإحسانِ وغضَّ البصرِ عمَّا حرَّمَ الله تعالى والرِّفقَ والمدارةَ والتَّواضعَ وحبَّ الخيرِ للنَّاسِ واعتقادَهُ واجبًا كاعتقادِهِ للمقرَّبينَ؛ كلُّ هذا أفعالٌ حسنةٌ لا يتعاملُ بها إلَّا أصحابُ الدَّرجاتِ الرفيعةِ من المؤمنينَ بقيمِ الإسلامِ إيمانًا حقيقيًّا، وهذا يؤدِّي إلى كسبِ ودِّ الآخرينَ والسيطرةَ على كيانهم فيخضعونَ لإرادةِ المتسامحِ المُحسنِ ولسطانه الروحيِّ ويتأثَّرونَ بأخلاقِهِ وإرشاداتِهِ؛ لأنَّ النَّفسَ الإنسانيَّةَ مجبولةٌ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها.

٩- كلُّ شيءٍ في التَّسامحِ يُصبحُ مقبولًا جميلًا محتملًا، يَستحيلُ كلُّ الناسِ إلى أصدقاءَ لنا، بل نُصبحُ قادرينَ على رؤيةِ الجانبِ الطِّيبِ الخيِّرِ في كلِّ النَّاسِ، ونحاولُ أَنْ نستثمرَ هذا الجانبَ، فالمحبَّةُ توقُّفٌ طويلٌ عندَ الآخرِ من أجلِ فهمِهِ وتعمُّقِ ذاتيَّتِهِ، وتريدُ أَنْ تقرأَ الباطنَ وتحاولُ أَنْ تنفذَ دائمًا إلى الأعماقِ، ولكنَّ الكراهيةَ حكمٌ سريعٌ أو نظرةٌ سطحيَّةٌ عابرةٌ، ترفضُ التوقُّفَ عندَ ما يحملُهُ الآخرُ مِن قيمٍ روحيَّةٍ

إيجابيَّةٍ؛ لأنَّها تقتصرُ على مجموعةٍ من القراءاتِ السطحيَّةِ أو التأويلاتِ الظاهريَّةِ لسلوكِ الآخَرِ.

١٠- إنَّ إشاعةَ ثقافةِ التسامحِ والتعاونِ والإحسانِ وحُسنِ الظنِّ معَ الأقاربِ والجيرانِ وغيرهم ضرورةٌ أكيدةٌ لاستقرارِ المجتمعِ والتخلُّصِ من المشكلاتِ النفسيَّةِ والاجتماعيَّةِ التي سبَّبت لهُ الألمَ والمعاناةَ والضَّياعَ؛ لأنَّ النظرةَ المتفائلةَ وحُسنَ الظنِّ بالنَّاسِ يُعدُّ ضمانًا للطمأنينةِ لِمَنْ يعيشُ في ساحةِ الحياةِ الإنسانيَّةِ، فعلاقةُ المُتسامحِ بالآخرينَ تتَّسمُ بالبراءةِ والبساطةِ والتلقائيَّةِ والمباشرةِ والبُعدِ عن سوءِ الظنِّ.

١١- يجبُ أنْ نُصغيَ إلى الآخرينَ الذينَ صدرَ عنهم الخطأُ بحقِّنا؛ نُصغي بدافعِ فهمِ الأسبابِ التي دفعَتْهم لمثلِ ذلك، فنكتشفُ ظروفَهم التي عانَوْا منها وطريقةَ تفكيرِهم التي انطلقوا منها في تصرُّفاتهم، والإصغاءُ هو النَّظرُ بعمقٍ إلى ما يقولُهُ الآخَرُ مِنْ دونِ النَّظرِ إلى اعتباراتِه الشخصيَّةِ أو أخطائه السابقة. وهذا يعني أنَّنا راغبون في الاقترابِ منَ الحقيقةِ واكتشافِ أفضلِ أُسلوبٍ للعملِ معَ الآخرين، وبذلك نصلُ إلى تصحيحِ أخطائِهِمْ بطريقةٍ حضاريَّةٍ صائبةٍ لا تُسيءُ لذواتِهِم ولا تجرحُ مشاعرَهُم.

١٢- إنَّ محبَّةَ الإنسانِ لله تعالى ليستْ مجرَّدَ مناجاةٍ عقيمةٍ للذاتِ الإلهيَّةِ، بل هي فعلٌ مُثمرٌ في الحقلِ الإلهيِّ، ومِنْ مصاديقها تركُ الانتقامِ قربةً إلى الله تعالى، وتأخيرُ الحصولَ على الأجرِ إلى يومِ القيامةِ معتقدًا أنَّ الخيرَ فيما اختارَهُ اللهُ تعالى، وينبغي للإنسانِ في مثلِ هذهِ الحالِ أنْ يطلبَ منَ الله سبحانَهُ إفاضةَ قوةٍ باطنيَّةٍ عليهِ يقوى بها على الامتناعِ عن قبيحِ الطَّلبِ وشدَّةِ الجزعِ والضَّجرِ

١٣- إنَّ الإيمانَ بيومِ القيامةِ يُخفِّفُ كثيرًا مِنْ مشاعرِ الإحباطِ والإحساسِ بالضَّياعِ عندَ المظلومينَ والمحرومينَ، فالإيمانُ باليومِ الآخرِ ينسجمُ معَ تطلُّعاتِ الإنسانِ لما وراءَ الحياةِ، وهذا الإيمانُ بالثوابِ والنَّعيمِ يمنحُ الإنسانَ طاقةً روحيَّةً متساميةً يحافظُ مِنْ خلالها على سلامته النفسيَّةِ واستقامته السلوكيَّةِ، فلو أصابَهُ الحرمانُ وحالَ الواقعُ دونَ إشباعِ حاجاتهِ فإنَّ الإيمانَ سيُخفِّفُ مِنْ معاناةِ الحرمان.

١٤- إنَّ غيابَ الحبِّ والتَّسامحِ يجعلُ صورةَ الحياة سوداءَ مظلمةً لا يستطيعُ أَنْ يعيشَ فيها الإنسانُ لحظةً واحدةً، فلا بدَّ مِنْ أَنْ نُخفِّفَ مِنْ مشاعرِنا السلبيَّةِ تجاهَ الآخرينَ وإنْ صدرَ عنهم خطأٌ أو ظلمٌ لنا؛ لأنَّ فيهم شيئًا من نزعةِ الخيرِ، والمتسامحُ يحترمُ الذاتَ الإنسانيَّة وينظرُ إلى البشرِ على أنَّهم ذواتٌ تحملُ نزوعًا للخيرِ يفوقُ نزوعَها للشرِّ، ولذلك فقدرتُه على التَّسامحِ عاليةٌ، فلا يتمادى في عداءٍ، ولا يلجأُ إلى العنف، ولا يخطِّطُ لإيذاءٍ، ولا يَسعدُ بمصيبةِ آخرَ، ويهبُّ عن طواعيةٍ لمساعدةِ مَنْ يحتاجُه.

١٥- التسامحُ هو الطريقُ إلى الشُّعورِ بالسَّلامِ الداخليِّ، فهو محوُ الغضبِ والانتقامِ وإزالةُ آثارِ الماضي المؤلمِ، وهذا يعني أنْ لا تعيشَ في الماضي المُخيف، ولا تتمسَّكَ بالأفكارِ الخاطئةِ والعاداتِ السيئةِ التي تعوَّدتَ عليها، فلو كبتَّ هذه المشاعرَ السلبيَّةَ في عقلكَ لاكتسبْتَ كثيرًا من الأمراضِ البدنيَّة مثل الصُّداعِ وآلامِ الظهرِ والاضطرابات العاطفيَّة مثل احتقارِ الذاتِ والإحباطِ والقلقِ، فعدمُ التسامحِ يُسبِّبُ لنا الألمَ المُستمرَّ والاضطرابَ والمعاناة التي لا نهايةَ لها.

١٦- لكي تصبح سعيدًا عليكَ أنْ تتخلَّى عن إصدارِ الأحكامِ السريعةِ على الآخرينَ وأنْ تُبْعدَ من ذهْنكَ أنَّ أغلبَ النَّاسِ يَسْعَوْنَ إلى إيذائنا وأنْ تزيلَ من عقلكَ أنْ لا أحدَ في العالَم يستحقُّ تسامحَنا، وينبغي الإيمانُ بأنَّنا نستطيعُ بناءَ العلاقاتِ السليمة إنْ غيَّرنا نظرتَنا إلى العالَمِ، ولو آمنَّا بأنَّنا قادرونَ على العيشِ المشتركِ لأصبحتِ الحياةُ المثاليَّةُ الخاليةُ من الآلامِ مع الآخرينَ ممكنةً.

١٧- عندما نتسامحُ علينا أنْ نتخلَّى عن اعتقادنا بأنَّنا ضحايا أو ضعفاءُ، وينبغي أنْ ندركَ أنَّنا قادرونَ على التسامح بسببِ القوَّة الروحيَّة التي منحنا اللهُ تعالى إيَّاها، وهذا لا يعني ضعفَنا أبدًا، فالتسامحُ يخلقُ عالمًا نمنحُ فيه حبَّنا لأيِّ إنسانٍ؛ إذ لا قيمةَ لمعاقبةِ النَّاسِ وإيذائِهم والانتقامِ منهم ولا ثمرةَ نجْنيها من هذا الأفعال الخاطئة، فالتمسُّكُ بالأفكارِ الانتقاميَّة وكبتِ الحُبِّ والعطفِ في داخلنا سيؤثِّرُ على صحَّتنا وراحتنا النفسيَّة.

□

Abstract:☐

The al-sahifa al-sajjadiyya unique supplications blessed model; what included him of divine knowledge and treasures of the Lord's literary style at the top of eloquence and rhetoric, a collection of supplications Sayings from Imam Ali bin Hussein bin Ali bin Abi Talib aka Zine El Abidine (peace be upon him), a comprehensive program to build human and drafted in accordance with the religious foundations of a solid, painted in a way to transport them to the lovers of the divine presence of the Holy, the color of the road in an artistic way a great rhetorical longed to reassure the souls and the hearts.

And pray at the Imam Zainal Abidin (peace be upon him) is not just a litany humane and cry implores where his Lord Karim to get rid of subjective pain or negative feelings or to get the reward or the desire to achieve some of the wishes and needs, but it was a cure for many of the ethical and psychological diseases then spread in the Muslim community that has become the moral deviation wrong understanding of the values of Islam and drift with the pleasures of this world , Fasttaa this Imam (peace be upon him) Including Otti unique eloquence super ability to express methods to spread the spiritual atmosphere in the Muslim community to contribute to the installation of a Muslim man when ridden temptations , was praying School ethics and source of tender and Meshaal guidance embodied the most prominent moral and social values .

The prayers al-sahifa al-sajjadiyya included a lot of wonderful moral implications that the adoption of a humanitarian project distinctive and influential , including tolerance , which is a moral virtue and social , is his presence a necessity in all societies , especially in societies suffering from conflicts or conflicts or differences.

And tolerance, the need for life- social , with no doubt that the man can not retire from society and cut the ropes ties with the people of its kind and relegated from the people , and the core of our jobs in the world of cohabitation be industrious as an amnesty and Alagmad for the mistakes of others , as well as the human ties itself so require , and the best way of peaceful coexistence that human Isalem others of his kind.

هوامش البحث

(١) كتاب العين: ١٥٥/٣ (سمح). وينظر: مقاييس اللغة: ٩٩/٣ (سمح).
(٢) تهذيب اللغة: ٣٤٦/٤ (سمح).
(٣) تاج اللغة وصحاح العربية: ٣٧٦/١ (سمح).
(٤) لسان العرب: ٤٨٩/٢ - ٤٩٠ (سمح).
(٥) الكتاب: ٦٩/٤.
(٦) شذا العرف في فن الصرف: ٥٣.
(٧) قضايا في الفكر المعاصر: ٢٥.
(٨) التعريفات: ١٠٠.
(٩) التعريفات: ١٧٢.
(١٠) المعجم الفلسفي: ٢٧١/١ (التسامح).
(١١) التسامح وقضايا العيش المشترك: ١٢.
(١٢) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ٥.
(١٣) التسامح وقبول الآخر: ١٧.
(١٤) قوة الحب والتسامح: ١١.
(١٥) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ٢٢.
(١٦) دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية: ١٠٧ - ١٠٨.
(١٧) التسامح وقضايا العيش المشترك: ٣١.
(١٨) قضايا في الفكر المعاصر: ٢٨.
(١٩) ألف باء اللا عنف رؤية إسلاميَّة أوليَّة في ثقافة التسامح: ٩.
(٢٠) ينظر: الإلهيات على هدى الكتاب والسنَّة والعقل: ٢٣١/١ - ٢٥٦.
(٢١) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: ٥٥.
(٢٢) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: ٥٨. وينظر: الجانب الديني للفلسفة: ٦٢.
(٢٣) الجانب الديني للفلسفة: ٦٤.
(٢٤) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: ٥٣.
(٢٥) الإسلام والعقل: ٧٥.
(٢٦) المشكلة الخلقية: ٧٦ - ٧٧.
(٢٧) القيم السياسية في الإسلام: ١٥.
(٢٨) رؤى في مسيرة الحركة الإسلامية: ٩١ - ٩٢.
(٢٩) فلسفة الأخلاق في الإسلام: ٣٠.

(٣٠) فلسفة (كانت) التربوية: ١٨٥ - ١٨٦.

(٣١) مشكلة الحب: ٦٤.

(٣٢) فلسفة الأخلاق في الإسلام: ٣٣.

(٣٣) المذاهب الأخلاقية في الإسلام: ٣٥ - ٣٦.

(٣٤) الفلسفة أنواعها ومشكلاتها: ٢٦٧.

(٣٥) النظرة القرآنية للمجتمع والتاريخ: ٢١٣.

(٣٦) ألف باء اللا عنف رؤية إسلامية أوليَّة في ثقافة التسامح: ١٦٠.

(٣٧) ينظر: المنهج التربوي عند أهل البيت: ١٨٤.

(٣٨) في رحاب الدعاء: ١٦ - ١٧.

(٣٩) شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين الجلالي: ١/٥ - ٦.

(٤٠) حياة الإمام زين العابدين: ٢/١٠.

(٤١) جهاد الإمام السجاد: ١٩١ - ١٩٢.

(٤٢) الإمام الحسين قبس من نبوة: ٣٢.

(٤٣) ينظر: حياة الإمام زين العابدين: ٢/٣٧٥ - ٣٨١.

(٤٤) إثبات الإمامة: ٤٢.

(٤٥) النظرة القرآنيَّة للمجتمع والتاريخ: ٢٨٦.

(٤٦) الصحيفة السجادية الكاملة: ٨٨. والمِنَّةُ: الإحسانُ والإنعامُ، وأَقَصَّ فلانٌ من فلانٍ: تمكَّن من الاقتصاصِ منه، وأقرَ فلانٌ على نفسِهِ: ضيَّقَ العيشَ على نفسِهِ.

(٤٧) ينظر: رياض السالكين: ٤/٧٠ - ٧١، وشرح الصحيفة السجادية، محمد سليم الرازي: ١/٤٢٥، وشرح الصحيفة السجادية، الشيخ علي الصغير: ٣٨٦ - ٣٨٧، والشرح الكبير على الصحيفة السجادية: ٥٣٣، ولوامع الأنوار العرشية: ٣/٥٣٦ - ٥٣٨.

(٤٨) شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين الجلالي: ١/٤٥٧ - ٤٥٨.

(٤٩) معنى الحب: ٨٨ - ٨٩.

(٥٠) مشكلة الحب: ٨٥.

(٥١) معنى الحب: ١٨.

(٥٢) قوة الحب والتسامح: ٤٣.

(٥٣) أصول الكافي: ٢/١٨٧.

(٥٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ٩٣. ورقَّ: لانَ وسهُلَ، والحامَّةُ: الخاصَّةُ من الأهلِ والولد.

(٥٥) ينظر: رياض السالكين: ٤/١٦١ - ١٧٢، وشرح الصحيفة السجادية، محمد سليم الرازي: ١/٤٥٢ - ٤٥٥، وشرح الصحيفة السجادية، الشيخ علي الصغير: ٤٠٧، ولوامع الأنوار العرشية: ٤/١١ - ١٤.

(٥٦) ينظر: شرح الصحيفة السجادية، السيد بهاء الدين النائيني: ٣٦ - ٤٤.
(٥٧) الشرح الكبير على الصحيفة السجادية: ٥٥٠.
(٥٨) ينظر: المنهج التربوي عند أهل البيت: ١٧٨ - ١٧٩.
(٥٩) دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية: ٦٠.
(٦٠) أصول الكافي: ١٥٠/٢.
(٦١) أصول الكافي: ١٤٨/٢.
(٦٢) أصول الكافي: ١٨٠/٢.
(٦٣) معنى الحب: ٤٠ - ٤١.
(٦٤) مشكلة الحب: ١٠٣.
(٦٥) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ٤٣.
(٦٦) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ١٤٧.
(٦٧) قوة الحب والتسامح: ١٥.
(٦٨) دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية: ٣٢.
(٦٩) معنى الحب: ٦٠.
(٧٠) مشكلة الحب: ٩٨ - ٩٩.
(٧١) دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية: ٩٢.
(٧٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٨ - ٥٩. الجَلَل: الهيِّن اليسير، والمرزِئة: المصيبة، والموجِدة: الغضب.
(٧٣) ينظر: رياض السالكين: ٥٧/٣ - ٥٨، وشرح الصحيفة السجادية، محمد سليم الرازي: ٢٦٨/١ - ٢٦٩، وشرح الصحيفة السجادية، الشيخ علي الصغير: ٢٤٨، ولوامع الأنوار العرشية: ١٠١/٣ - ١٠٢.
(٧٤) ينظر: شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين الجلالي: ٢٨٠/١.
(٧٥) رياض السالكين: ٦٥/٣ - ٦٦.
(٧٦) مشكلة الحب: ١٢٦.
(٧٧) الصحيفة السجادية الكاملة: ٥٩ - ٦٠. الخِيَرة: الاختيارُ، ويوم الفصل ومجمع الخصم: يوم القيامة، والهلع: الجزع الشديد أو الحرص الشديد.
(٧٨) ينظر: رياض السالكين: ٦٧/٣ - ٧٠، وشرح الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين الجلالي: ٢٨٥/١ - ٢٨٦
(٧٩) ينظر: شرح الصحيفة السجادية، محمد سليم الرازي: ٢٧٢/١، وشرح الصحيفة السجادية، الشيخ علي الصغير: ٢٥٢، ولوامع الأنوار العرشية: ١٠٨/٣ - ١١١.
(٨٠) المنهج التربوي عند أهل البيت: ٢٠٧.
(٨١) معنى الحب: ٤٤.

(٨٢) معنى الحب: ٥٨ ـ ٥٩.
(٨٣) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ٤٩ ـ ٥١.
(٨٤) الصحيفة السجادية الكاملة: ٧٣.
(٨٥) ينظر: رياض السالكين: ٣/٣٣٣ ـ ٣٣٤، وشرح الصحيفة السجادية، محمد سليم الرازي: ١/٣٤٧ ـ ٣٤٨، وشرح الصحيفة السجادية، الشيخ علي الصغير: ٣١٩، ولوامع الأنوار العرشية: ٣/٣١٠ ـ ٣١٣.
(٨٦) شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين الجلالي: ١/٣٦٩.
(٨٧) أصول الكافي: ٢/٣٥٦.
(٨٨) أصول الكافي: ٢/٣٥٦. اصطكَّت ركبتاه: اضطربتا، وتخلَّعت: تفكَّكت، والثُّبور: الهلاك.
(٨٩) أصول الكافي: ٢/١٣٦.
(٩٠) أصول الكافي: ٢/١٣٧.
(٩١) أصول الكافي: ٢/١٨٣.
(٩٢) قوة الحب والتسامح: ٩٢.
(٩٣) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ١٠ ـ ١١.
(٩٤) معنى الحب: ٥٧.
(٩٥) تحف العقول عن آل الرسول: ٢٠٢.
(٩٦) دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية: ٨٩.
(٩٧) مشكلة الحب: ٩٩ ـ ١٠٠.
(٩٨) دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية: ١٠٨.
(٩٩) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ٢٦.
(١٠٠) أصول الكافي: ٢/٣٥٧ ـ ٣٥٨.
(١٠١) المنهج التربوي عند أهل البيت: ١٩٨.
(١٠٢) الصحيفة السجادية الكاملة: ١٢١ ـ ١٢٢. حجرْتَ: منعْتَ، وظُلامتي: ما يطلبُهُ المظلومُ.
(١٠٣) ينظر: رياض السالكين: ٥/٣٠٦ ـ ٣١٢، وشرح الصحيفة السجادية، محمد سليم الرازي: ٢/١١ ـ ١٢، وشرح الصحيفة السجادية، الشيخ علي الصغير: ٥٤٨ ـ ٥٤٩، ولوامع الأنوار العرشية: ٤/٣٠٤ ـ ٣٠٦.
(١٠٤) مشكلة الحب: ٥٧.
(١٠٥) أصول الكافي: ٢/١٣٨.
(١٠٦) التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة: ٨٣.
(١٠٧) شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين الجلالي: ٢/١٧٤.
(١٠٨) مشكلة الحب: ٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إثبات الإمامة، أحمد بن إبراهيم النيسابوريّ (المتوفَّى في أوائل القرن الخامس الهجري)، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦ م.
- الإسلام والعقل، الشيخ محمد جواد مغنية، مكتبة الهلال، دار الجواد، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٤ م.
- أصول الكافي، الشيخ محمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤ ه.
- ألف باء اللا عنف رؤية إسلامية أوليَّة في ثقافة التسامح، صالح الحسن، د. مط، ٢٠٠١م.
- الإلهيّات على هدى الكتاب والسنَّة والعقل، العلَّامة الشيخ جعفر السبحانيّ، تحقيق الشيخ حسن محمد مكّي العامليّ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، مطبعة اعتماد، قم المقدَّسة ـ إيران، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ.
- الإمام الحسين قبس من نبوَّة، د. حسن عباس نصر الله، دار الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧ م.
- تاج اللغة وصحاح العربيَّة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت٤٠٠هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م.
- تحف العقول عن آل الرَّسول صلَّى الله عليهم، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرَّانيّ (من أعلام القرن الرَّابع الهجريّ)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، منشورات دار المجتبى، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- التسامح رؤية جديدة تزهر الحياة، أوشو، ترجمة د. علي حدَّاد، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- التسامح وقبول الآخر مشروع السلام المجتمعي، د. عصام عبد الله، إشراف مركز ماعت للدراسات الحقوقيَّة والدستوريَّة، الجيزة ـ مصر، د. ت.
- التسامح وقضايا العيش المشترك، محمد محفوظ، المركز الثقافي الإسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

- التعريفات، السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي: بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمدً بن أحمد الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق د. عبد الحليم النجّار، مراجعة محمَّد علي النجّار، الدّار المصريَّة للتأليف والترجمة، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤ م
- جهاد الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٩٥هـ)، السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
- الجانب الديني للفلسفة نقد لأسس السلوك والإيمان، جوزايا رويس، ترجمة د. أحمد الأنصاري، مراجعة د. حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة ـ مصر، ٢٠٠٠م.
- حياة الإمام زين العابدين عليه السلام دراسة وتحليل، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر القرشي، مكتبة الإمام الحسن العامة، النجف الأشرف ـ العراق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- دراسة في المشاكل الأخلاقية والنفسية، السيد مجتبى الموسوي اللاري، ترجمة الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مركز نشر الثقافة الإسلامية في العالم، مطبعة الهادي، قم المقدسة ـ إيران، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- رؤى في مسيرة الحركة الإسلامية، السيد هادي المدرسيّ، د. مط، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، السيِّد علي خان الحسيني المدني الشيرازي (ت١١٢٠هـ)، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدَّسة ـ إيران، الطبعة السادسة، ١٤٢٨هـ.
- شرح الصحيفة السجاديَّة، السيد بهاء الدين محمد بن محمد باقر الحسيني النائيني (ت١١٣٣هـ)، تحقيق محمد جواد المحمودي، مركز أبحاث باقر العلوم عليه السلام، قم المقدسة ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- شرح الصحيفة السجاديَّة، الشيخ علي بن زين الدين بن محمَّد العاملي المعروف بالشيخ علي الصغير (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري)، تحقيق محمد رضا الفاضلي، مركز أبحاث باقر العلوم عليه السلام، مطبعة روح الأمين، قم المقدسة ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- شرح الصحيفة السجاديَّة، السيد محمد حسين الحسيني الجلالي، تحقيق السيد رحيم الحسيني، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.

- شرح الصحيفة السجاديَّة، الشيخ محمد سليم الرازي (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري)، تحقيق محمد جواد المحمودي ، مركز أبحاث باقر العلوم عليه السلام، مطبعة روح الأمين، قم المقدسة ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- الشرح الكبير على الصحيفة السجاديَّة، السيِّد نعمة الله الحسيني الموسوي الجزائري (ت١١١٢هـ)، تحقيق حسين تقي زاده، مركز أبحاث باقر العلوم عليه السلام، مطبعة روح الأمين، قم المقدسة ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- الصحيفة السجاديَّة الكاملة، الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقَّب بزينِ العابدين وسيِّد الساجدينَ (ت٩٥هـ)، تقديم السيد محمَّد باقر الصَّدر، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- فلسفة الأخلاق في الإسلام، الشيخ مرتضى مطهَّري، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، ترجمة د. فؤاد زكريَّا، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م.
- فلسفة (كانت) التربوية، د. طيبة ماهروزاده، تعريب عبد الرحمن العلوي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
- في رحاب الدعاء، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك، مطبعة الصدر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- قضايا في الفكر المعاصر، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
- قوَّة الحب والتسامح، د. إبراهيم الفقي، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- القيم السياسيَّة في الإسلام، د. إسماعيل عبد الفتَّاح، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، د. ت.

- لوامع الأنوار العرشيَّة في شرح الصحيفة السجاديَّة، السيد محمد باقر الموسوي الحسيني الشيرازي (ت١٢٤٠هـ)، تحقيق الشيخ مجيد هادي زاده، مركز البحوث الكمبيوتريَّة التابع لحوزة أصفهان العلميَّة، مطبعة أسوة، أصفهان ـ إيران، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
- المشكلة الأخلاقيَّة والفلسفة، لاندريه كريسون، ترجمة الإمام عبد الحليم محمود والأستاذ أبو بكر ذكرى، مطابع دار الشعب، القاهرة ـ مصر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- مشكلة الحب، د. زكريًّا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة، د. ت.
- المشكلة الخُلُقيَّة، د. زكريًّا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة ـ مصر، ١٩٦٦م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيَّة والفرنسيَّة والإنكليزيَّة واللاتينيَّة، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٢م.
- معنى الحب، د. عادل صادق، د. مط، ١٩٩٢م.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريًّا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، السيِّد سعيد كاظم العذاري، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- النَّظرة القرآنيَّة للمجتمع والتَّاريخ، الأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح اليزديّ، تعريب محمَّد عبد المنعم الخاقانيّ، منشورات دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.